جامعة عبد الرحمن ميرة ـ بجاية ـ

كلية الآداب و اللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

عنـوان المـذكــرة:

المحـادثــة و الحجـاج فـي القـرآن الكـريـم
ســورة "هـــود" أنـمــوذجـا

مذكرة مقدمة لاستكمال شهادة الماستر في اللغة و الأدب العربي

تخصص: لسانيات الخطاب

إعداد الطالبين:

- بري عزالدين
- بلمنور بومدين

إشراف الأستاذة:

حمقه حكيمة

لجنة المناقشة:

الاسم و اللقب	الجامعة	الصفة
نور الدين خيار	جامعة بجاية	رئيسا
حكيمة حمقه	جامعة بجاية	مشرفا و مقررا
كايسة عليك	جامعة بجاية	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2018/2017

شكر و تقدير

نشكر الله عز و جل عظيم الشأن و المنة

الذي فتح علينا أبواب فضله فهو أهل الحمد و الشكر

و من ثم نتوجه بأسمى عبارات و معاني الشكر

و الوفاء إلى أستاذتنا الفاضلة القديرة حمقة حكيمة

التي أشرفت على هذا البحث و تعهدها

للأمانة العلمية الجادة،

فقد بذلت جهدا مشكورا بمتابعة هذا العمل قراءة و تصحيح

فنسال الله أن يزيدها فضلا على فضل و علما على علم

فجزاك الله خير الجزاء

و ما توفيقي إلا بالله عليه توكلت و إليه أنيب

و الحمد لله من قبل و من بعد.

الإهداء

إلى اللذين فضلهما عليَّ كبير و كل الكلمات تعجز عن أداء شكرهما

أبي و أمي أدامكما الله عليَّ و أمدَّ في عمركما و جعل الجنة من نصيبكما

إلى أختي العزيزتين اللتان هما أغلى ما أملك كهينة و صورایة

إلى أخي العزيز عثمان فوجوده أنار دربي

إلى صديقي العزيزين منذ الطفولة عبد النور و عبد الرحيم فوجودكما في حياتي أجمل هدية

إلى زميلي الذي شاركني هذا العمل و الذي أقدر له صبره علي و تحمله لي

إلى زملائي في القسم الذين قضيت معهم أجمل الأوقات و أخص بالذكر: عبد العالي، نسيم، توفيق، جويدة، رحيمة ،مريم، رياض، زوينة

إلى من ساندني في إنجاز هذا العمل

و لا أنسى أستاذتي المشرفة فجزاك الله خيرا

إليكم جميعا أهدي هذا العمل المتواضع

عزالدين

إهـداء

إن أجمل رموز المحبة الإهداء...

و إن أجمل المحبين أم تنبض الجنة تحت قدميها

و أب عزيز على الفؤاد هو نصفها

فلهما أهدي نصيبي من الجهد في هذا العمل

إلى إخوتي حكيم، فاتح، جمال، صفيان، زكريا، هابيل، عبد السميع

إلى أخواتي حكيمة، صليحة، حسيبة، حياة

إلى زميلي في العمل عزالدين

كما أحببت أن أهديه لمن كانوا سندا لي في الحياة

أصدقائي الأوفياء فازية، وسام، كريم و جلول

بومدين

مقدمة

تعتبر اللغة خاصية إنسانية و هي الوسيلة الأساسية التي يعتمد عليها الفرد للتواصل مع أقرانه، فهي تساعده في توصيل أفكاره و التعبير عن آرائه المختلفة في مواضيع شتى.

و لما كان الإنسان كائن اجتماعي بطبعه، يعيش ضمن جماعات و تكتلات، فقد مَنَّ الله عز وجل عليه بملكة جعلته يتربع على عرش مخلوقات الرحمن، وقد تجلت هذه الملكة في ملكة الكلام و التخاطب بنوعيها المنطوق و المكتوب (الشفهي و الكتابي).

لقد أولى العلماء عناية فائقة منذ القدم بدراسة اللغة من كل جوانبها، لذا نجدها تتربع على القدر الكبير من الدراسات في مختلف المجالات و التخصصات، ومع ظهور الدراسات اللغوية الحديثة باتجاهاتها الكبرى الثلاث، البنيوية، التوليدية التحويلية والتداولية، اتجهت الدراسات اللغوية من الدراسة المعيارية للغة البشرية إلى الدراسة الوصفية (الآنية)، و التي كان أساسها المنهج العلمي الدقيق، و كما هو معروف فإن ظهور التداولية يرجع إلى القرن (19) مع "شارل موريس" و "فريج" اللذان وضعا اللبنة الأولى للدرس التداولي المعاصر، ثم لتتبلور بشكل أوسع مع نهايات القرن الماضي لتشمل موضوعات تتعلق بالاستخدام الفعلي للكلام كالحجاج اللغوي و المحادثة و عليه يعد الحجاج و المحادثة ظاهرتان لغويتان تلازمان الخطاب البشري الذي يقوم بالدرجة الأولى على التواصل و تحقيق المقاصد بين المرسل و المتلقي.

و القرآن الكريم من بين الخطابات التي تشتمل على تفاعلات و اتصالات، ولعل أهمها التبادلات التي جمعت بين الأنبياء و أقوامهم بغرض دعوتهم إلى عبادة الله عز وجل، و إقامة الحجة عليهم وردًا على عقائدهم الفاسدة.

و لتحقيق هذا الأمر لا بد من الاعتماد على أساليب فعالة للوصول إلى الغاية المنشودة و النتيجة المرجوة، من بين هذه الأساليب: أسلوب الإقناع و التأثير و بتعبير آخر أسلوب الحجاج الذي يساهم في عملية الإقناع و الاستمالة بواسطة أدواته الكثيرة ووسائله المختلفة.

لقد ارتأينا إلى دراسة هاتين الظاهرتين المتمثلتين في المحادثة و الحجاج في القرآن الكريم، و التطبيق على سورة من سوره المكية المتمثلة في سورة "هود" لتوفرها على محادثات و تبادلات كلامية جمعت الأنبياء بأقوامهم الذين هم بصدد إقامة الحجة عليهم و دعوتهم إلى توحيد الله عز وجل ثم لاشتمالها على أسلوب الإقناع.

أما عن سبب اختيار الموضوع فيعود إلى سبب قلة الدراسات الآخذة بالدراسة لموضوع المحادثة خاصة، لذا أردنا أن نضيف لمسة للدراسات اللغوية من خلال دراسة هكذا موضوع، ثم لفت أنظار الباحثين و تحفيزهم للبحث في هذا الموضوع مستقبلا، ثم يعد هذا البحث فرصة لنا لاكتساب المزيد من التجربة و الدراية فيما يخص هذا النوع من الخطاب الشفهي، فقد كانت فرصة مميزة لنا لنستفيد و ننمي معارفنا و مكتسباتنا، و هذا بغية الإجابة على الإشكالية المتمثلة :

- فيما تمثلت بنية المحادثة و الحجاج في القرآن الكريم؟

و قد استعنا بالمنهج الوصفي التحليلي كونه الأنسب لبحثنا، فيظهر الوصف من خلال دراسة بنية المحادثة و الحجاج أماالتحليل فيتضح من خلال تحليل التبادلات الكلامية في سورة هود و الوسائل الحجاجية المتوفرة فيها.

و قد عمدنا إلى تقسيم هذا العمل إلى فصلين و خاتمة، و ما يجدر الإشارة إليه أن كل فصل يحتوي على نظري و تطبيقي، أما الفصل الأول فقد جاء بعنوان بنية المحادثة في سورة هود و فيه قدمنا وصفا للمدونة، وتطرقنا إلى مفهوم المحادثة و إلى المفاهيم المتدرجة تحتها و بنيتها، في الجانب النظري ثم انتقلنا إلى دراسة بنية المحادثة في سورة "هود" أين أخذنا محادثات السورة بالتحليل و الدراسة، أما الفصل الثاني فكان بعنوان بنية الحجاج في سورة هود، حيث تطرقنا فيه إلى مفهوم الحجاج إضافة إلى أراء بعض الباحثين الغربيين و العرب في الحجاج، كما تناولنا فيه كل من أنواع الحجاج و مختلف آلياته البلاغية و

الروابط و العوامل و السلالم الحجاجية، ثم انتقلنا إلى دراسة بنية الحجاج في سورة هود، ثم ختمنا بحثنا بمجموعة من النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذا العمل.

و لا يكاد يخلو أي بحث من صعوبات قد تواجه الباحث في مراحل انجاز بحثه، فمن الصعوبات التي عانينا منها كثيرًا هي قلة المراجع خاصة في ما يخص موضوع المحادثة كما يجب التذكير أن الاشتغال على الخطاب القرآني كان هو الآخر صعوبة، إذ التعامل مع القرآن يستوجب معرفة علمية لا بأس بها.

و في الأخير ما علينا إلا أن نشكر الله عز وجل أن وفقنا للوصول بهذا العمل إلى ما هو عليه فله الحمد و المنة في الأولى و الآخرة. كما وجب علينا أن نقر بفضل من ساعدنا و مد لنا يد العون، و رعاية هذا البحث بآرائها و نصائحها و إرشاداتها، و هذا كله للأساتذة المشرفة حمقة حكيمة فجزاك الله خير جزاء.

الفصل الأول:

بنيـــة المحـادثـــة فـي القـــرآن الكـريـــم

أولا: وصــف المـدونـــة

ثانيا: مفهــوم المحــادثــة

ثالثا: عوامــل المحــادثــة

رابعا: بنيـــة المحــادثـــة

خامسا: بنيـــة المحــادثـــة فـي سـورة "هـــود"

أولا. تقديم المدونة: "سورة هود"

1)- وجه تسميتها:

سورة "**هود**" من السور المكية، ذلك جلي في تميزها بطابع القرآن المكي، إذ حَوَت و تضمنت هذه السورة عناصر الدعوة الإلهية و أصول الدين بمختلف ميادينها و هي التوحيد، البعث، الرسالة والجزاء.

سميت سورة "**هود**" في المصاحف، و في كتب التفسير، وكتب السنة بهذا الاسم، ولا يعرف لها اسم غير هذا، و قد وردت هذه التسمية عن الرسول – صلى الله عليه و سلم– في حديث ابن عباس قال: قال أبو بكر: يا رسول الله قد شبت؟ قال: (شيبتني هود و الواقعة و المرسلات و عم يتساءلون و إذا الشمس كورت.)[1]

ووجه تسميتها بهذا الاسم هو « لتكرار اسمه فيها خمس مرات، و لأن ما حكي عنه فيها أطول مما حكي عنه في غيرها، و لأن عادًا وصفوا فيها بأنهم قوم هود في قوله تعالى: ﴿أَلَا بُعۡدٗا لِّعَادٖ قَوۡمِ هُودٖ ٦٠﴾، و قد تقدم في تسمية سورة يونس وجه آخر للتسمية ينطبق على هذه وهو تمييزها من بين السور ذوات الافتتاح بـ "ألر".»[2]

قال الصابوني: « سميت سورة هود عليه السلام باسمه، تخليدًا لجهوده الكريمة في الدعوة إلى الله، فقد أرسله جل جلال إلى قوم "عاد" الجبارين، اللذين اغتروا بقوة أجسامهم و قالوا: من أشدُ قوة منا؟ فأهلكهم الله بالريح الصرصر العاتية.»[3] التي سلّطها الله عليهم سبع ليال و ثمانية أيام حسوما.« كما ذكرت القصة بقصد العظة و العبرة للمتكبرين المتجبرين.»[4]

---

[1])- تفسير القرآن الكريم: الحافظ ابن كثير، ج2، دار الكتاب الحديث، ط1، ص 1008.

[2])- تفسير التحرير و التنوير: الطاهر بن عاشور، ج 11، الدار التونسية للنشر، 1984، ص 311.

[3])- صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني، ج2، دار القرآن الكريم، بيروت، ط 4، 1981، ص5,

[4])- المرجع نفسه، ص 5.

قال تعالى في كتابه العزيز :﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾﴾

هود من الآية 58 إلى الآية 60

2)- ترتيبها و عدد آياتها:

تحتل سورة "**هود**" الترتيب الثاني و الخمسين في ترتيب النزول، فقد « نزلت هذه السورة بعد سورة يونس و قبل سورة يوسف.»[1]و ترتيبها في المصحف الشريف هو إحدى عشر، و عدد آياتها مائة و ثلاثة وعشرون.

لقد اختلف العلماء في مكية سورة "**هود**" أو مدنيتها، و هما على قولين، فالقول الأول يسلم أنها سورة مكية، أما القول الثاني يقول أنها مكية إلا أنها اشتملت على بعض من الآيات المدنية، و القول الراجح في هذه المسألة هو القول الأول، الذي يقول أنها مكية.[2]

و ذلك بدليل السياق الذي وردت فيه هذه الآيات، فقد وردت في السياق المكي، كما أن موضوعات السورة يغلب عليها خصائص القرآن المكي، فهي تتحدث عن أصول الدين العامة و هي: التوحيد، و الرسالة، و البعث و الجزاء، و تميزها بما فيها من القوارع و الزواجر للمشركين المعاندين لما اشتملت عليه من قصص الأنبياء السابقين، و الدعوة الشديدة إلى الاستقامة.

[1])- تفسير التحرير و التنوير:الطاهر بن عاشور، ص 312.

[2])- ينظر المرجع نفسه ص 311.

3)-محور السورة:

يتمثل المحور الأساسي الذي تدور حوله هذه السورة هو« تقرير أصول الدين، و إقامة الأدلة عليها ورد الشبه التي كان يثيرها المعارضون حول الدعوة و حول صاحبها، و الحديث عن اليوم الآخر و ما فيه من ثواب و عقاب.»[1]

و هذا من مميزات القرآن المكي الذي يتميز بالمواجهة – أي- مواجهة مشركي قريش و كفارها بأن القرآن و حي من عند الله تعالى يوحيه إلى نبيه محمد- صلى الله عليه و سلم-

4)- موضوعات السورة:

إن المتمعن في سورة "**هود**" يلاحظ أنها تضمنت عدة مواضيع، و لم تكتف بموضوع واحد أو موضوعين، فبالإضافة إلى تقريرها لعناصر الدعوة الإلهية مثل التوحيد و البعث... نجدها تطرقت إلى مواضيع عدة لا تقل أهمية عن المواضيع الأخرى، فمن بين هذه المواضيع ما يلي:

- إبراز حقائق العقيدة و تنزيه القرآن، و ذلك من خلال:

القرآن و موقف المشركين منه و من البعث قَالَ تَعَالَى:﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ٢ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ...﴾

هود من الآية 1 إلى 7

- موقف المشركين و المؤمنين من النعم و النقم و جزاؤهم، و ضيق صدر الرسول من عناد المشركين، مع إثبات أن القرآن من عند الله عز وجل.

قَالَ تَعَالَى:﴿وَلَئِنۡ أَخَّرۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٖ مَّعۡدُودَةٖ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحۡبِسُهُۥٓ...﴾

هود (من الآية 8 إلى الآية 12)

[1])- أهداف كل سورة و مقاصدها في القرآن الكريم: عبد الله محمود شحاتة، مطابع الهيئة المصرية للكتاب، مصر، 1976، ص 127.

- تحدي الله المشركين و إيثارهم الدنيا على الآخرة و بيان جزائهم

و ما ينتظرهم من العذاب الأليم، كما يبين جزاء المؤمنين و ما ينتظرهم من النعيم مع ذكر لبعض أوصاف كلا الفريقين قَالَ تَعَالَى:﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾﴾

هود (من الآية 13 إلى الآية 23)

- إيراد قصص الأنبياء السابقين – عليهم السلام– مع أقوامهم، و الذي

هو قوامها، فهو يستغرق معظم السورة و الذي لم يأت مستقلا « إنما جاء مصدقا للحقائق الكبرى التي جاءت السورة لتقريرها، و هي التوحيد و البعث و الجزاء.»[1]

«و القصص هنا مفصل بعض الشيء، لأنه يتضمن الجدل حول حقائق العقيدة التي وردت في مطلع السورة، و التي يجيء كل رسول لتقريرها.»[2]

فكل الرسل بعثوا من أجل الإقرار بوحدانية الله عز وجل و دعوة الناس إلى عبادته، و يتضح ذلك في قوله تَعَالَى:﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾﴾ هود(من الآية 25 إلى الآية 26)

ثم يقول هود:﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ هود الآية 50.

و يقول صالح:﴿ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ هود الآية 61.

و يقول شعيب: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ هود الآية 84.

أما نهايات هذه القصص و جزاؤهم كان بهلاك كل المكذبين الكافرين المعتدين، لأنهم كذبوا الرسل و لم يستجيبوا لما دعوهم إليه فكانت عاقبتهم الهلاك، قَالَ تَعَالَى:﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ هود (الآية 102)

[1])- المرجع السابق، ص 134.

[2])- المرجع نفسه، ص 134.

و من خلال ما تقدم يمكن هيكلة السورة إلى ثلاث مقاطع أساسية:[1]

- فالمقطع الأول من الآية 01 إلى الآية 24

﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾

فهذا المقطع يتضمن حقائق العقيدة و قد جاء في مقدمة السورة.

- المقطع الثاني: من الآية 25 إلى الآية 99

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ﴾ إلى ﴿وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ بِئۡسَ ٱلرِّفۡدُ ٱلۡمَرۡفُودُ﴾

و هذا يتضمن حركة هذه الحقيقة في التاريخ البشري و يشغل معظم أجزاء السورة.

- المقطع الثالث: من الآية 101 إلى الآية 123.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡۖ فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ...﴾ إلى قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ يتضمن التعقيب على هذه الحركة.

وآيات هذه السورة تلتحم فيما بينها و تتعاون مع بعضها من أجل تقرير الحقائق الإعتقادية الأساسية التي ترمي إليها السورة وهي: التوحيد، البعث، الرسالة و الجزاء.

و من خلال ما تقدم ذكره نلاحظ قوة الانسجام والترابط والتناسق بين مقاطع السورة، فجاء المقطع الأول ليؤكد عقيدة التوحيد، ثم تلاه المقطع الثاني يعرض لقصص الأنبياء مع أقوامهم وهم يحاولون دعوتهم إلى التوحيد، ليأتي المقطع الثالث للتعقيب على هذه القصص

[1])- مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور: برهان الدين الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، ج 2، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1987، ص 175،(بتصرف).

و ذلك بالتعريف بحقيقة الألوهية و حقيقة الآخرة و إثبات رسالة محمد – صلى الله عليه وسلم–.

لما كان الإنسان يتواصل مع أفراد مجتمعه باللغة التي هي وسيلة تواصل و تفاعل يعتمد عليها للتعبير عن أغراضه و احتياجاته المختلفة. و لما كانت هذه الأخيرة تتجلى في صور و أشكال عديدة متنوعة، منها المكتوب و الشفهي، و فيها اللغوي و غير اللغوي، وعليه فالمحادثة تعد نمط من أنماطها و هي عملية تواصلية يمارسها الفرد لخلق تواصل هادف ناجح بين شركاء التفاعل.

ثانيا. مفهوم المحادثة:

1)– لغة:

ورد في لسان العرب لابن منظور تحت مادة "حَدَثَ" أن: « الحديث ما يحدث به المحدِّث تحديثا، و قد حدثه الحديث و حدثه به، الجوهري: المحادثة و التحادث و التحدُّث و التحديث: معروفات، و يرى ابن سيده: و قول سبويه في تعليل قولهم: لا تأتيني فتحدثني، قال: كأنك قلت ليس يكون منك إتيان فحديث، إنما أراد فتحديث، فوضع الاسم موضع المصدر، لأن مصدر حدَّث أنما هو التحديث، أما الحديث فليس بمصدر.

و قوله تعالى: " و أما بنعمة ربك فحدِث" أي بلغ ما أرسلت به، و حدِّث بالنبوة التي آتاك الله، و هي أَجَّلُ النعم. (...) و الأحدوثة: ما حُدِّثَ به.»[1]

من خلال ما تقدم يتضح أن مفهوم المحادثة في اللغة يدور حول معنى التحادث و تبادل الحديث، و التخاطب بين متكلمين...

[1])– لسان العرب: ابن منظور، م2، دار صادر للطباعة و النشر، بيروت، مادة حَ دَ ثَ، ص133.

2)- اصطلاحا:

يعرف فان ديك المحادثة بأنها:« وحدة تفاعل اجتماعية تتكون من سلسلة متشعبة من أحداث، و تتحدد ارتباطًا بسياقٍ اجتماعي.»[1]

أي أن المحادثة متعلقة بالتفاعل اللغوي الذي ينتجه و يولده أعضاء التفاعل أو المتحدثون أثناء عملية تبادل أطراف الحديث، كما نفهم من هذا التعريف أن للسياق دور هام في تحديد الظروف التي نشأت فيه، كما أنه لا يمكن إغفال عدد المشاركين الذين يتشاركون في التفاعل المحادثاتي.

أما عدد شركاء التفاعل أو المشتركين في الحدث فهو في الواقع ضروري، لكنه ليس شرطا كافيا لحدوث المحادثة إذ تحتاج إلى عوامل أخرى « فإذا أراد (أ) إيقاف سيارته في موقف خال، و كان (ب) مساعدًا له في ذلك، حيث يعطيه " تعليمات مثل: "أدر إلى اليمين، لا تتحرك بسرعة، الآن ارجع متمهلا، ما زال المتسع نصف متر!، فإن (أ) و (ب) يتفاعلان دون شك، و تتبع أقوال (أ) اللغوية نشاطا يوجهها، و عندئذ يحافظ (أ) و (ب) لوقت محدد على ملاحظة في الرؤية و الإدراك".»[2]

فبالإضافة إلى وجوب و لزوم وجود متكلمين أو مشاركين اثنين على الأقل، كذلك يجب وجود تبادل و تناوب لأدوار بين المتحدثين أثناء المحادثة، و هذا واجب توفره في المحادثة.

و لتعريف المحادثة فقد قام "فولفجانج" « باستنتاج خواص مقولية تتمثل في:

- على الأقل مشتركان في التفاعل.
- تبادل كلام إلزامي

---

[1])- علم النص مدخل متداخل الاختصاصات: توان فان ديك، تر: سعيد بحيري، ط1، دار القاهرة، 2001، ص 375.

[2])- مدخل إلى علم اللغة النصي: فولفجانج هاينه من و ديتر فيهفيجر، تر: فالح بن شبيب العجمي، النشر العلمي و المطابع، جامعة الملك سعود، الرياض ص 252.

– موضوع المحادثة الذي يوجد في بؤرة الاهتمام في الوعي الإدراكي للمشتركين في الحديث.»[1]

ففي هذه النقطة ذكر فولفجانج شروط المحادثة و الأمور التي تؤدي إلى إنجاحها، فمن بين هذه الشروط أن يتوفر في المحادثة مشتركان متفاعلان، فلا يمكن أن تحدث المحادثة بمشترك أو متفاعل واحد، كذا يجب حدوث تبادل بين المشتركان إضافة إلى تحديد موضوع التفاعل (المحادثة) من قبل المشتركان المتفاعلان.

و يذهب أصحاب معجم تحليل الخطاب إلى أن لفظ تحادث يستعمل « في حقل تحليل الخطاب في معنى ضيق يشير إلى نمط مخصوص من التفاعلات اللغوية... و باعتبارها نمطا من التفاعل تعتبر المحادثة في الغالب ضربًا من طراز التفاعل.»[2]

و من خلال ما سبق ذكره، يتضح جليا أن المحادثة عبارة عن نشاط لغوي تفاعلي، يكون بين متكلمين أو مشاركين اثنين فأكثر، و يكون بينهما تناوب و تبادل للأدوار أثناء العملية التخاطبية في موضوع يتم تحديده مسبقا، و الذي يكون غاليا مرتبط بالسياق الاجتماعي.

ثالثا. عوامل المحادثة:

1)– التفاعل:

تعرفه أوركيوني بأنه « الوحدة التواصلية التي تمثل استمرارية داخلية مؤكدة (استمرارية الجماعية المشاركة و الإطار الزماني و المكاني، إضافة إلى المواضيع المقتحمة) بينما تكون مقطوعة عما سبقها و ما يليها.»[3]

---

[1])– المرجع نفسه، ص 253– 254.

[2])– معجم تحليل الخطاب: باتريك شارودو و دومنيك منقنو، تر: عبد القادر المهيري، حمادي صمود، دار سيناترا، تونس، 2008، ص 139–140.

[3])– عليك كايسة: بنية المحادثة و مكوناتها الأساسية، مجلة الممارسات اللغوية، جامعة مولود معمري –تيزي وزو– الجزائر، مارس 2016، العدد 35، ص107. نقلا عن:

Kerbrat – orcchioni .c : la conversation, édition de seuil, paris, 1996 .p 36.

و بهذا فعلى المشاركين في التفاعل الالتزام بكل القواعد التي تؤدي و تساعد في إنجاح التفاعل بينهم أو العملية التواصلية، فتتمثل هذه القواعد في وجوب تناوب المتفاعلين في أخذ الأدوار، ليكون لكل منهم تدخله الخاص به، و يكون مشاركا في المحادثة إضافة إلى الفضاء الزماني و المكاني للتفاعل، كأن يكون التواصل مباشرًا.

و نجد الباحثون ميزوا بين نوعين من التفاعلات و هما التفاعلات اللغوية و التفاعلات غير اللغوية، فتتمثل الأولى في التفاعلات التي تتحقق بوسائل لغوية كالمحادثات و المداخلات...و تتمثل الثانية في التفاعلات التي تتحقق بوسائل لغوية كالإيماءات و الإشارات...

2)- التبادل:

يقول موشلر أن التبادل « يعتبر أصغر وحدة حوارية في التفاعل الذي يتكون من شريكين تخاطبيين على الأقل.»[1]

أي أن أطراف الحديث و النقاش يحدث في غالب الأحيان بين متكلمين اثنين فما فوق، و لكن « قد نجد في بعض الأحيان التبادل يتركب من تدخل واحد فقط و يرجع ذلك إما كون التدخل الآخر أو الثاني قد حقق بوسائل غير لغوية كتحريك الرأس عن تدخل جاء في صيغة الاستفهام أو ببساطة يكون التدخل الآخر غير موجود.»[2]

كما نجد غوفمان يميز بين نوعين من التبادل و هما التبادلات التأكيدية التي تعتبر ذو بنية بسيطة و ثنائية في الغالب و ترتبط خاصة بتبادلات الافتتاح و اختتام التفاعل، أما

[1])- حمقة حكيمة: بنية المحادثة مقاربة نصية تداولية، حصة في دائرة الضوء أنموذجا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، (2011- 2010)، ص 45. نقلا عن:
J- Moesheler – argumentation et conversation. P 81

[2])- حمقة حكيمة: المرجع نفسه، ص 45.

الثاني فيتمثل في التبادلات الإصلاحية التي تتميز بالطابع الإصلاحي لمحاولة رفع إهانة غير مقصودة أو شيء من هذا القبيل.[1]

3)- المقطع:

حددت أوركيوني المقطع على أنه:« مجموعة أو كتلة من التبادلات المترابطة بشكل كبير عن طريق الاتساق الدلالي أو التداولي.»[2]

و تتكون معظم التفاعلات من ثلاث مقاطع أساسية:

- مقطع الافتتاح، وسط التفاعل، مقطع الاختتام، فأما مقطع الافتتاح و مقطع الاختتام فيسهل تحديدهما، ذلك كونهما يمتلكان وظائف خاصة، فمن أجل افتتاح محادثة ما، ينبغي اعتماد بعض من التبادلات التأكيدية، كإلقاء التحية مثلاً، و الاختتام فهو الآخر يستدعي الاعتماد على بعض العبارات التي تعلن عن الافتراق و إنهاء الحديث مثل تحيات الافتراق.

4)- التدخل:

يعتبر التدخل اللَبنة الأساسية المكونة للتبادل الذي غالبا ما ينتجه مشاركا التفاعل، و التدخل « ينتجه متكلم واحد و نفسه، فهو بالتالي إسهام متكلم خاص في تبادل خاص»[3]، أي أن التدخل مرتبط بكل متفاعل مشارك في المحادثة.

و نجد من يميز بيم نوعين من التدخل: فالتدخل الذي يتكون من أكثر من فعل كلامي فهو تدخل معقد، أما التدخل الذي يتكون من فعل كلامي واحد فهو تدخل بسيط.

5)- الفعل الكلامي:

تعتبر نظرية أفعال الكلام من بين المواضيع المهمة في اللسانيات (التداولية) فهذه الأخيرة تسعى « للإجابة عن أسئلة كالتالي: ماذا نصنع حين نتكلم؟ ماذا نقول بالضبط حين نتكلم؟

---

[1])- ينظر: عليك كايسة، بنية المحادثة مقاربة نصية تداولية، ص 108.

[2])- نقلا عن: حمقة حكيمة، بنية المحادثة مقاربة نصية تداولية، ص47. Orcchioni: la conversation, p 37

[3])- عليك كايسة: بنية المحادثة و مكوناتها الأساسية، ص 109.

لماذا نطلب من جارنا حول المائدة أن يمدنا بكذا، بينما يظهر واضحًا أن في إمكانه ذلك؟ فمن يتكلم إذن؟ و إلى من يتكلم؟...»[1]

فالفعل الكلامي من العناصر الأساسية في الكثير من الأعمال التداولية، فهو وحدة أحادية الكلام، تؤدي غرضا تواصليا، و هي مثل:« أسمي، أعد، أتعهد، أرفض، أعلن، أعتذر، أهنئ، أعلن افتتاح جلسة... حيث يعبر المتكلم من خلال هذه الأفعال عن مقاصده، و تؤدي هذه الأفعال وظائف اجتماعية مختلفة (كالاعتذار، و الاعتراض، و القبول، و الوعد، و التعزية، و التهنئة،...»[2]

أي هي أفعال قولية يستعين بها المتلفظ قصد الوصول إلى أغراض إنجازيه، و لتحقيق غايات تأثيرية متعلقة بردود فعل المتلقي.

يعتبر رائد هذه النظرية الفيلسوف الإكسفوردي جون. ل. أوستن، الذي خالف بعض المبادئ السوسيرية، خاصة فيما يخص اللغة التي يراها أنها ليست مجرد وسيلة للتبليغ و التواصل فقط، بل هي أداة يستعملها الأشخاص المتكلمون للتأثير على المستمعين (أو متلقي الخطاب)، و أن كل قول عبارة عن فعل في الوقت نفسه، وقد طور هذه النظرية تلميذه سيرل.

يقول مسعود صحراوي: « إن الفعل الكلامي يعني التصرف أو (العمل) الاجتماعي أو المؤسساتي الذي ينجزه الإنسان بالكلام، فالفعل الكلامي يراد به الانجاز الذي يؤديه المتكلم بمجرد تلفظه بملفوظات معينة، و من أمثلته: الأمر و النهي، و الوعد، و السؤال، و التعيين... فهذه كلها أفعال كلامية.»[3]

[1])- المقاربة التداولية: فرانسوا أرمينيكو، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، د ط، دت، ص 05.

[2])- عليك كايسة: بنية المحادثة و مكوناتها الأساسية، ص 109.

[3])- التداولية عند العلماء العرب: مسعود صحراوي، دار الطليعة للطبع و النشر، بيروت، ط1،2005، ص 10.

فالفعل الكلامي ذو طابع اجتماعي يتحقق بمجرد التلفظ به بملفوظات معينة، و ذلك قصد تحقيق التواصل و صنع مواقف اجتماعية بالكلمات، و المحاولة في التأثير في المتلقي من خلال هذه الأفعال: كتقرير أمر، أو تقديم وعد، أو إصدار حكم...

رابعا. بنية المحادثة:

" يعد مبدأ تبادل المتكلمين مبدأ تنظيم تفاعلي يبني المحادثات على مستوى شمولي في المساهمات الكلامية التي تكون لدى المشتركين في الحدث، فالمحادثات تحتوي أيضا على بناء متعدد الجوانب، فهي في ذلك مثل النصوص الأحادية، و ينتج ذلك البناء في توظيف أنساق المعرفة المختلفة التي تتضح في المحادثة، و في الأعمال المنشورة عن تحليل المحادثة يفرق غالبا بين مستوى البنية الكبرى (العليا أو العامة) و مستوى البنية الصغرى، حيث يفترض أحيانا مستوى آخر متوسط من البناء، إذ يرتب في هذه المستويات وحدات تمثيل مختلفة مثل مراحل المحادثة و خطوات المحادثة و الأفعال الكلامية وأفعال الإنجاز النظري و غيرها."[1]

1)- البنية العامة للمحادثة:

تتشكل المحادثة وفق الشكل من البنية العامة أو المستوى البنية الكبرى، فهو« بنية الحديث ككل»[2] و هو البناء الكلي للمحادثة.

و يكاد يتفق الباحثون و العلماء و المختصون في اللسانيات في التمييز في المستوى الأكبر للمحادثة في الغالب بين مرحلة الافتتاح، ومرحلة الوسط و مرحلة النهاية، و بعبارة أخرى بين مرحلة التقديم (التصدير) و مرحلة تحقيق الهدف ومرحلة الاختتام.

- **الافتتاح:**

يشمل الافتتاح على أحداث مثل:[1]

[1])- مدخل إلى علم اللغة النص: فولفجانج هاينه من و ديتر فيهفيجر، ص 258- 252.

[2])- علم النص مدخل متداخل الاختصاصات: فان دايك، ص 381.

- التحية والخطاب بهدف صنع التواصل.
- تحديد المشاركين في المحادثة و كذلك العلاقات بينهم.
- التفاهم حول قصد المتكلم التكويني.
- التفاهم حول نماذج الاتصال.
- تأكيد قابلية الاتصال.
- تأطير كيفية تفاعلية معينة.

فغالبًا ما يكون افتتاح المحادثة بعبارات التحية مثل:" السلام عليكم، مرحبا، أهلا بك، صباح الخير،...الخ" أو عبارات أخرى تحمل وظيفة الافتتاح فليس من اللباقة الدخول في أي موضوع أو نقاش دون مقدمات.

- **الموضوع:**

الموضوع يكون بعد الافتتاح مباشرة و يليه، وتتمايز حدوده بين الافتتاح و الاختتام، يقوم بتحديده شركاء التفاعل، أي يقوم المتفاعلون بتحديد موضوع الحديث الذي يريدون الحديث فيه مع بعضهم البعض، و يعتبر موضوع المحادثة مركزها و نواتها.

- **الاختتام:**

و يقصد به إنهاء الحديث، وذلك أيضا يكون بالتحية مثل: سلام، نلتقي، دمت طيبًا...أو استعمال عبارات أخرى مثل: حسنا، هكذا، إذن، و في بعض الأحيان يقوم من يريد التهرب من المحادثة أو عدم الإطالة فيها بإحداث عبارات تدل على القلق أو العجلة أو التحجج بأمور أخرى كأن يقول(عندي موعد، أنا مسرع، ليس لدي وقت...).

إن افتتاح المحادثة و اختتامها يمكن أن يستدل عليه بواسطة وسائل لغوية مختلفة الأنواع، لكن وضع حدود موضوعية بيم هذه المقاطع الثلاثة في المحادثة ليس ممكنا بعد.

---

[1])- فولفجانج هاينه من و ديتر فيهفيجر، ص 259.

إن استنباط مرحلة الافتتاح و الاختتام يمكن تحديدهما بسهولة وبدقة، فعبارات التحية وغيرها من الظواهر اللغوية قد رسمت حدودهما أما موضوعها فهناك صعوبة في تحديده.

2)- البنية الصغرى للمحادثة:

تكون المساهمات الكلامية و الأدوار في العادة موجودات مركبة، تتميز بواسطة أبنية داخلية محددة، و تنشأ المساهمة الكلامية في النشاط التفاعلي بواسطة توظيف أنساق المعرفة المختلفة التي تظهر بطريقة محددة في بناءها المتعدد الجوانب. فتحليلات البنية الصغرى للمحادثات، لا تكشف فقط مبادئ التنظيم و الوظائف في وحدات المحادثة من مختلف درجات التعقيد، بل تقود في تفاعلها مع تحليلات البنية الكبرى إلى مفاتيح جوهرية عن مدى محاولة شركاء التفاعل حل المطلب الدائم للاتصال، لجعل أقوالهم في سياق حديثي كاف للفهم و جعل الآخرين جميعا راضين.[1]

تتجلى البنية الصغرى للمحادثة في المنطوقات المنفردة التي يتلفظ بها متحدث ما، فهي تركز على"الدور" و التركيز على ما يقوله أثناء التفاعل.

لا شك أن تبادل الأدوار و تناوب المتكلمين أثناء التفاعل مبدأ أساسي في المحادثة، ذلك أن التناوب يضمن سيرورة المحادثة و عدم انقطاعها، و يعكس مدى تفاعل المشاركين في الحدث التواصلي بتتابع العناصر اللغوية و غير اللغوية معا. فعلى المتفاعل و المشارك في المحادثة أن يكون ملما بقدر هائل من المعارف التي اختزنها و اكتسبها، ويكون ذا معرفة بالقواعد الدلالية و التركيبية، إذ ذلك يساعده في إيصال فكرته إلى الطرف الآخر بسهولة، كما يساعده ذلك في ضبط منطوقاته وتنظيمها و توزيع معارفه.

[1])- المرجع السابق ص 268-269.

خامسا. بنية المحادثة في سورة هود

1)- المحادثة الأولى: محادثة النبي نوح مع قومه

تتضمن الآيات من "25 إلى 49" قصة النبي نوح عليه السلام مع قومه، و هو – كما قيل- أول رسول بعثه الله عز وجل ويكنى بأبي البشرية الثاني، لأنه كان الوحيد الذي نجا من الطوفان و الذين كانوا معه في السفينة من المؤمنين بعد أن عَمَّ الأرض، ظل يدعوا قومه إلى توحيد الله و عبادته وحده 950 سنة، و مع ذلك لم يؤمن معه إلا القليل.

أ)- أعضاء التفاعل في المحادثة:

تتضمن محادثة النبي نوح – عليه السلام- على عدد لا بأس به من الأعضاء المتفاعلة، يتمثل هؤلاء الأعضاء في:

- النبي نوح عليه السلام: نوح عليه السلام هو النبي الذي بعثه الله عز وجل إلى قومه يدعوهم إلى عبادته وحده لا شريك له، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ هود الآية 25.

فبهذه الآية يفتتح النبي نوح عليه السلام قومه، فيخبر الله عز وجل أن نوحا مرسل من عند ربه إلى قوم كافرين، اتخذوا آلهة أخرى يعبدونها من دون الله، فأرسل الله نبيه نوح عليه السلام إلى هؤلاء القوم لينذرهم بالعذاب الأليم عقابا لهم على فعلهم، وخوفا عليهم من العذاب إن أصروا على شركهم، ويدعوهم إلى ترك الشرك و عبادة الله و حده عز وجل.

- قوم النبي نوح عليه السلام:

يمثل قوم النبي نوح – عليه السلام- العضو المتفاعل الثاني، إذ إليهم أرسل النبي نوح لدعوتهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، إذا، فالأمر الذي أرسل به نوح عليه السلام عظيم شأنه و قد تمثل في الدعوة إلى عبادة الله عز وجل وحده و نبذ ما سواه من الآلهة الأخرى.

- الله عز وجل:

نلتمس في محادثة النبي نوح عليه السلام حضور الله عز وجل فيها كمتفاعل، ولا ننكر أن القرآن الكريم هو كلام الله عز وجل الذي أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم لينذر به قومه و يعلمه لهم ما فيه من التشريعات و الأحكام الربانية و الوصايا الجليلة التي تساعد الإنسان في تنظيم حياته من كل الجوانب سواء الاجتماعية، الاقتصادية، السياسية...الخ.

يتضح ذلك في إخباره تعالى نبيه نوح عليه السلام أنه لن يؤمن من قومه إلا من آمن، فلا تحزن و لا تبتئس عليهم، فقد فضلوا العمى على الهدى و الكفر على الإيمان، يا نوح إن ربك يأمرك أن تصنع السفينة تحت رعاية الله و حفظه، فإن أمر ربك آت و وعده مفعول و لا يرد بأسنا على القوم الكافرين الظالمين، و احمل فيه من كل زوجين اثنين، لأن الطوفان سيعم جميع الأرض و يغرقها و لن يبقى فيها أحد إلا من كان مع النبي نوح في الفلك، و كل هذا يتضح في قوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾﴾ هود الآيتين 36 و 37، و في قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ هود الآية 40.

- ابن النبي نوح عليه السلام:

و هو الابن المذكور في المحادثة و قد قيل أن اسمه كنعان، فقد ناداه النبي نوح فقال له " يا بني اركب معنا"، تعال و اركب معنا في السفينة ولا تكن من الكافرين، الذين سيغرقهم الله بعذابه وهو الطوفان، و لكن هو فضل أن يكون مع القوم الكافرين، وظن أنه ذكي لما قال أنه سيأوي إلى جبل يعصمه من الماء، ظنًا منه أن الماء لن يصل إلى رؤوس الجبال، فأجابه أبوه "لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم"، فطاله عذاب الله و كان من المغرقين.

ب)- مقاطع المحادثة:

تحتوي المحادثة على مقاطع ثلاث تتمثل في مقطع الافتتاح، مقطع الوسط، و مقطع الاختتام.

ب-1)_ مقطع الافتتاح:

يمثل الافتتاح الخطوة الأولى في المحادثة حيث نلتمس الافتتاح في هذه المحادثة من خلال قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ فتمثل هذه الجملة بداية افتتاح المحادثة بين النبي نوح وقومه. و الافتتاح غالبا ما يكون بعبارات خاصة، يفهم من خلالها السامع أو القارئ أنها بداية حدوث تواصل بين طرفين، أو الطرف الأول يريد إقامة تواصل مع الطرف الثاني، ومن بين هذه العبارات نجد عبارات التحية التي تكون عادة افتتاح أي محادثة، و في بعض المحادثات لا يتم إلا بها.

و الملاحظ أن في محادثة النبي نوح – عليه السلام- مع قومه، لم يستعمل عبارات التحية، فقد تواصل معهم مباشرة و أخبرهم أنه نذير لهم بالعذاب الأليم إن لم يستجيبوا له، فقوله تعالى في الآية الآتية:﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾﴾ تعليل لما أرسل إليه، أي أتاهم لينذرهم عذابًا أليما من عند الله عز وجل إن عصوه ولم يتبعوا أمره.

و لا نجد التحية في هذه المحادثة و ربما في المحادثات الأخرى كونها محادثة خاصة من القرآن الكريم، فبالتالي لا يسرد كل أحداثها التي جمعت بين النبي و قومه بل يكتفي بالأهم و بما يؤدي الغرض من ذكر هذه القصص و المحادثات، و كل ذلك من أجل أخذ العبرة و العظة منها و إحاطة الناس العلم بالأمم السابقة و ما جرى لها بسبب طغيانها و عُتُوها عن أمر ربها.

ب-2)- مقطع الوسط:

و يتمثل مقطع الوسط في الموضوع الذي من أجله أرسل إليه النبي نوح و هو دعوة قومه إلى عبادة الله و حده، ويتجلى ذلك في قوله تعالى:﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢٥ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ٢٦﴾ هود الآيات 25. 26، أي « أرسلناه رسولا إلى قومه بعد أن امتلأت الأرض بشركهم و شرورهم منذرًا و مخوفًا من عذاب الله إن لم يؤمنوا به، و قد أرسلناه بدعوة التوحيد و هي عبادة الله وحده.»[1]

و قد جرت سنة الله أن يعاند دعوة رسله السادة و الكبراء في القوم الذين لهم شأن وقدر في قومهم و قبيلتهم، و يتكبرون على عباد الله وعلى رسله و يتضح ذلك من قوله تعالى: ﴿فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِۖ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ٢٧﴾ هود الآية 27.

أي قال الرؤساء و الأشراف من قومه ما أنت إلا بشرا مثلنا فكيف يبعث الله إلينا بشرا؟ ثم إن أتباعك من أراذلنا و سفلتنا، فكيف تكون مرسلا من عند الله إلينا؟ و هذه الآية تدل على أن قومه أنكروا دعوته و كذبوه و لم يؤمنوا به، و ما آمن به إلا الفقراء و المساكين و الضعفاء من قومه.

إن دعوة الرسل قائمة على القول اللين و الحسن وترك الغِلظة والشدة، فهم يدعون إلى الله بالتي هي أحسن ولا يجبرون الناس على الإتباع و الإيمان بهم عُنْوَة، قال النبي نوح لقومه لا نلزمكم أنا ومن آمن بي واتبعني على أن تؤمنوا برسالتي و دعواي من غير إرادتكم، وأن تتبعوا سبيلي وأنتم لها كارهون، فرحمة الله يأتيها من يشاء من عباده، ولا أريد منكم أجرًا ولا مالا لكي أبلغكم دعوة الله إليكم، فأجري يأتيني به الله إن شاء.

وقد قيل أن الملأ من قومه قالوا له إن أردتنا أن نؤمن لك ونصدقك، فعليك أن تطرد الذين اتبعوك من الفقراء و الضعفاء و السفلة، فأجابهم قائلا:﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ

[1])- صفوة التفاسير: الصابوني: ج 2، ص 12. (بتصرف)

﴿إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ هود من الآية 29إلى الآية 30، أي أنا لن أطردهم، فإنهم سيلاقون الله و يحاسبهم على أعمالهم ويجازيهم بها، فهم عباد هداهم الله إلى إتباع أمره و طاعة رسوله و هداهم إلى طريقه المستقيم، فمن ينصرني يوم القيامة إن طردتهم و أبعدتهم.

ثم أخذ يرد عليهم دعواه و إنكارهم عليه فقال: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾ ردًا على قولهم ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ و قوله﴿وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ﴾ ردًا على قولهم ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾ فقد استرسل في الرد على دعواهم و احتقارهم له و التنقيص من قيمته فإنه على حسبهم ليس أهلا للدعوة أو صالحا ليولى عليهم.

و كما جرت سنة الله على المتكبرين المتجبرين أنهم لا يقبلون الحق، حتى ولو قعدت إلى رؤوسهم تدعوهم إليه ما قبلوه منك، فهم يحاولون فرض رأيهم، وإن لم يستطيعوا ذلك لجأوا إلى المِرَاءِ (خصومة بعد ظهور الحق).

فقال قوم النبي نوح: ﴿قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾﴾ هود من الآية 32إلى الآية 33؛ فقد ظل يدعوهم مدة طويلة،و قد قيل 950سنة و هو يدعوهم و لكن دون جدوى، فلم يسمعوا الآيات بل أعرضوا عنها، و لم يتبعوا الهدى، و استعجلوا عذاب الله، فقالوا " آتينا بما تعدنا"، و لا يعلمون أن النبي نوح ليس له حول و لا قوة، فالعذاب يأتيهم به الله عز وجل و لا يعجزه شيء، و إن أراد إهلاكهم سيهلكهم في غمضة عين و ما هم بمعجزين.

ب-3)- مقطع الاختتام:

جاءت نهاية القوم الكاذبين المتكبرين المتجبرين أن كانوا من المغرقين، و هذه كانت نهاية القصة و اختتاما للمحادثة، فلكل بداية نهاية، و قد كان هلاكهم بالطوفان، و أي عذاب أعظم من هذا، **قَالَ تَعَالَى:** ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟

﴿إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾ هود الآية 37، فأخبر الله نبيه نوح عليه السلام أن قومه مهلكون بالطوفان، فلا ناصر لهم اليوم.

ج)- التبادلات التفاعلية بين أعضاء التفاعل:

نلتمس في المحادثة حدوث تبادلات تفاعلية (كلامية) بين أعضائها المتفاعلين، فكل قد شارك في تبادله الخاص، فنجد تبادل بين النبي نوح و قومه، تبادل بين النبي نوح مع الله عز و جل، و تبادل بين النبي نوح مع ابنه كنعان، و سنعرض لكل تبادل لوحده.

ج-1)- التبادل الأول: تبادل النبي نوح عليه السلام مع قومه:

نلتمس هذا التبادل في السورة الكريمة في قوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢٥ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ٢٦﴾

فما كان جواب قومه إلا أن كذبوه و سخروا منه و استهزؤوا به، و يتضح ذلك في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِۖ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ٢٧﴾ هود الآية27

فنلاحظ حدوث تبادل بين النبي نوح وقومه، فالأول يحاول دعوتهم إلى عبادة الله عز وجل و قومه يواجهونه و يعرضون عنه و يتهربون منه بأمور سفيهة و يحتجون بحجج ضعيفة واهية كما سبق الذكر في الآية السالفة الذكر.

كما نلمس تبادلات بين هذين الطرفين في مواضع أخرى من المحادثة كقوله تعالى ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ٢٨﴾ إلى آخر تلك الآيات التي تدل على ذلك، التي يحاول فيها النبي نوح عليه السلام إقامة الحجة على قومه بصدق نبوته و نفي ما ينسبونه إليه، كذلك نجد التبادل في أية السخرية و ذلك في قوله تعالى: ﴿وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ

﴿قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ٣٨ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٞ﴾

و مما يجب التنبيه إليه أن قوم النبي نوح عليه السلام هم من قطعوا المحادثة و ذلك في قوله تعالى على لسانهم قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٣٢﴾ هود الآية 32. فقد قيل أن الآية قبلها كانت آخر مجادلة جادل فيها النبي نوح قومه، فأجابوا عليه بقولهم هذا، أنه أكثر من جدالهم، فقد ملوا و سئموا منه ومما يدعوهم إليه.

ويمكن التمثيل لهذا التبادل بين الطرفين بالشكل الآتي:

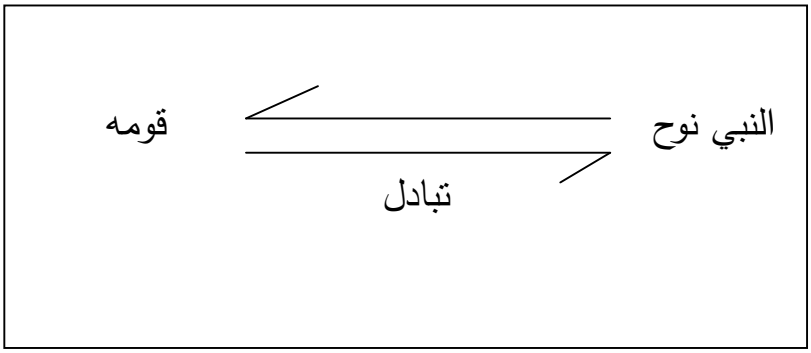

و مما يجدر الإشارة إليه أن التبادل بين النبي نوح عليه السلام و قومه حدث بشكل مباشر، وجها لوجه، في زمان و مكان محددين حاضرين، و مما يدل على ذلك منادتهم في كل مرة يا قوم، لتنبيههم و استحضار أذهانهم وعقولهم، و أن ما سيخبرهم به عظيم شأنه جليل قدره.

و ما دّل على ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ٣٨﴾ فهذه الآية دلت على أن المكان الذي وجد فيه النبي نوح و جد فيه قومه أو بعض الملأ من قومه، فظاهر الآية دلت على رؤية قوم النبي نوح له و هو يصنع الفلك.

ج-2)- التبادل الثاني: النبي نوح عليه السلام مع الله عز وجل:

دلت على هذا التبادل الآية التي أمر الله عز وجل فيها نبيه نوح بصنع الفلك، إضافة إلى الآية التي أمره أن يحمل في الفلك من كل زوجين اثنين، وقد سبق ذكرهما فالعذاب سيمس قومه، فهو مهلكهم و معذبهم بالطوفان، الذي سيعم الأرض كلها بعد حين، كما دلت على هذا التبادل الآيات التي شفع فيها النبي نوح عليه السلام لابنه كنعان عند الله عز وجل، فلما قضي أمر الله نادى نوح ربه مشفعًا لابنه قائلا:" إن ابني من أهلي"، و لم يقبل الله شفاعته، فقال له "إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح"، لأنه لم يركب مع أبيه في السفينة و فضل البقاء مع القوم الضالين، فأصابه ما أصابهم و كان من المغرقين.

و ما ينبغي الإشارة إليه أن التبادل بين النبي نوح عليه السلام و الله عز وجل ليس مباشرًا، فقد كان التبادل بينهما عبر واسطة و هي ملك الوحي جبريل عليه السلام، فالله عز وجل يتواصل مع الأنبياء عن طريق الوحي أو من وراء حجاب، باستثناء النبي موسى عليه السلام، فقد خصه الله عز وجل بالتواصل معه مباشرة دون واسطة، فلذلك، فالتمثيل لهذا التبادل يكون بهذا الشكل الآتي:

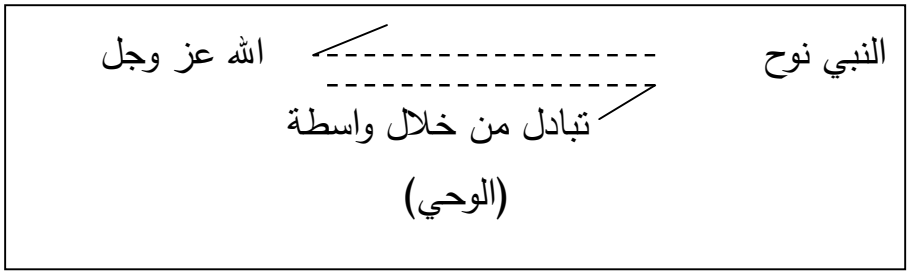

ج-3)- التبادل الثالث: النبي نوح عليه السلام مع ابنه "كنعان":

دلت على هذا التبادل الآيات في قوله تعالى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾

هود الآيات (42-43) ، فتبين التبادل الكلامي الذي حدث بين النبي نوح وابنه و ذلك من خلال دعوته للركوب معه في السفينة و ينجو بنفسه و يكون من المؤمنين، إلا أنه أبى و استكبر و آثر أن يكون مع الكافرين الظالمين، فكان جزاؤه أن كان من المغرقين، وتلك عاقبة الظالمين، و التبادل بينهما كان بطريقة مباشرة.

و يمكن التمثيل لهذا التبادل بالشكل الآتي:

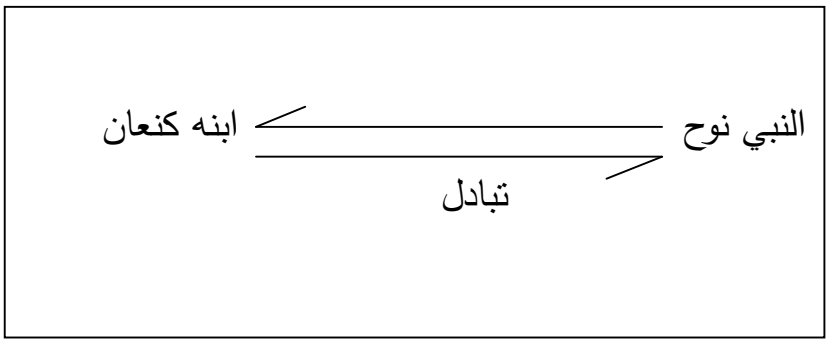

فالمحادثة مترابطة متناسقة، فكل أدى دوره مما ضمن السير الحسن لها، و بنية التبادل متسلسلة، فكانت البداية مع قوم النبي نوح و هو يدعوهم إلى عبادة الله وحده، و انتهاء بالعقاب الذي حل بهم، فكل أعضاء التفاعل له مساهمته الخاصة به مما ضمن سيرورة المحادثة و عدم انقطاعها، فالقارئ لها يتخيل الأحداث بتفاصيلها و عباراتها الدقيقة.

و يمكن استخلاص تلك التبادلات في شكل واحد و يمكن التمثيل له على النحو الآتي:

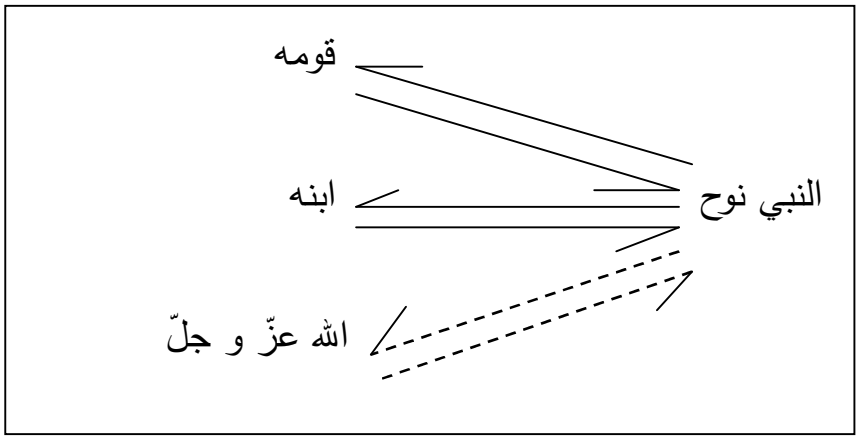

فنبين من هذا المخطط أن النبي نوح عليه السلام هو الفاعل الأساسي في المحادثة فأغلب التبادلات الكلامية كانت منه و إليه، و أنه استحوذ على القدر الكبير من المحادثة، و ذلك ما تبينه الآيات السالفة الذكر.

و فيما يلي مخطط شامل يبين الأعضاء المتفاعلة و المتلقية في المحادثة ككل.

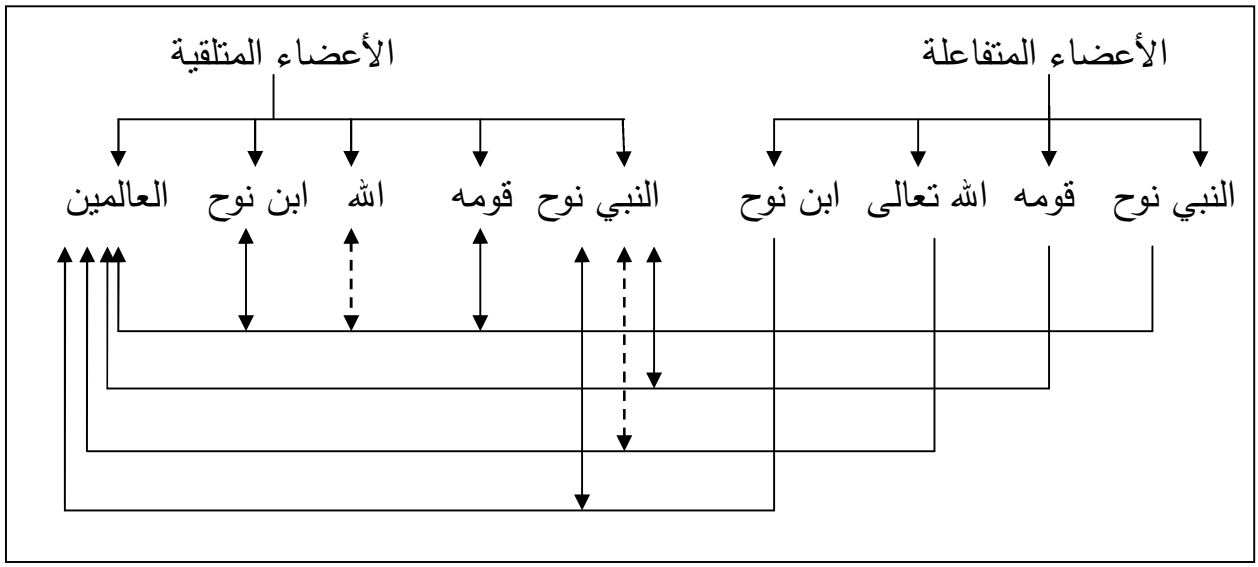

*العالمين [1]

يبين المخطط التفاعلات التي حدثت بين أعضاء التفاعل، فاشتمل على النبي نوح عليه السلام و قومه و الله عز وجل و ابن نوح كنعان، و هي نفسها في الأعضاء المتلقية، فهي لعبت الدورين كليهما، فالتبادل يذهب منها و يعود إليها.

2)- المحادثة الثانية: النبي هود عليه السلام مع قومه:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَا قَوْمِ

[1])- ما يجدر الإشارة إليه، أن هذه القصص و المحادثات التي جرت بين الأنبياء و أقوامهم منقولة إلينا، فقد أخبرها و حكاها الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه و سلم عن طريق الوحي، و عن طريق القرآن الكريم، ثم النبي محمد صلى الله عليه وسلم بلغها أصحابه و هكذا دواليك، فالقرآن الكريم يعرف بأنه الكلام المعجز في لفظه و معناه المنقول إلينا بالتواتر.

ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۡۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَيَسۡتَخۡلِفُ رَبِّي قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيۡـٔٗاۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴿٥٨﴾ وَتِلۡكَ عَادٞۖ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَعَصَوۡاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ﴿٥٩﴾ وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّعَادٖ قَوۡمِ هُودٖ ﴿٦٠﴾

هود من الآية 50 إلى 60.

يعد النبي هود – عليه السلام- أول رسول أرسل إلى قوم عاد، و تعرف عاد أنها أول أمة من نسل سام بن نوح، ذكر في عدة سور من القرآن الكريم، فتارة بصورة فيها شيء من التفصيل كما في سورة الأعراف، هود، المؤمنون، الشعراء، الأحقاف... وتارة أخرى بصورة موجزة، كما في سورة فصلت، الذاريات، القمر، الحافة، و ذكرت عاد باسم آخر و هو الأحقاف، نسبة إلى الأحقاف (المكان الذي تسكنه) و الذي يعني جبل من الرمل، و منطقة الأحقاف ما يعرف اليوم باسم الربع الخالي في جنوب الجزيرة العربية بين عمان و حضر موت.

أ)- أعضاء التفاعل:

نلتمس في هذه المحادثة و جود عضوين متفاعلين فقط و المتمثلان في النبي هود عليه السلام، و يتمثل الثاني في قومه (عاد).

- النبي هود عليه السلام:

يعد النبي هود عليه السلام حامل الأمر الرباني إلى قوم عاد، أرسله الله عز وجل إليهم يدعوهم إلى عبادته و حده لا شريك له، قال تعالى:﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ هود الآية 50.

أي « وحدوا الله ولا تشركوا معه شيئا في العبادة، فهو تعالى إلهكم لا هذه الأصنام التي تعبدونها، فإنها حجارة لا تنفع و لا تضر»[1]

- قوم النبي هود عليه السلام:

يمثل قوم النبي هود عليه السلام العضو المتفاعل الثاني، إذ إليه بعث الله عز وجل نبيه هود عليه السلام لدعوتهم إلى توحيد الله ونبذ الشرك، وترك عبادة الأصنام و التماثيل التي يصنعونها بأيديهم ثم يعبدونها، وهي لا تضر ولا تنفع، لكن لم يستجيبوا لما دعاهم إليه نبيهم و عارضوا دعواه و أنكروا عليه، قال تعالى على لسانهم:﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ هود الآية 53.

أي يا هود لم تأتينا « بحجة تدل على صحة دعواك و إنما قالوه لفرط عنادهم و عدم اعتدادهم بما جاءهم من البينات الفائقة الحصر.»[2]

ب)- بنية المحادثة:

ب-1)- مقطع الافتتاح:

إن الأمر الأول الذي واجه النبي هود عليه السلام قومه هو دعوتهم إلى تقرير المستحق للعبادة و هو الله عز وجل، لا أحد سواه قال تعالى:﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ هود الآية 50.

[1])- تفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل): علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، الجزء الثاني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة (01)، 2004، ص 489.

[2])- تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم): أبي السعود محمد بن محمد العمادي، الجزء(04)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ط، د ت، ص 217.

هذه الآية هي بداية المحادثة بين النبي هود عليه السلام و قومه عاد، فهي تمثل مرحلة التقديم و الولوج إلى إقامة تواصل بين النبي هود و قومه، وتبادلا لأطراف الحديث، ذلك: أن أول شيء دعا النبي هود قومه هو عبادة الله عز وجل و نبذ إشراك غيره من الأصنام و الأوثان في العبادة، و لا شك أن هذا هو الهدف الأساسي من إرسال الله عز وجل للأنبياء و الرسل و المتمثل في دعوة الناس و الأقوام إلى عبادة الله عز وجل، و هنا، فالملاحظ أن الافتتاح حدث بعبارات أخرى غير عبارات التحية، التي غالبا ما تكون هي مقدمة افتتاح أي محادثة، لكن هذه العبارة تحمل وظيفة الافتتاح مثل النداء في قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ هود الآية 50 إلى الآية 51.

فهذه العبارات تحمل في مضمونها و في سياقها وظيفة الافتتاح، أي افتتاح الكلام (المحادثة) بين النبي هود و قومه.

ب-2)- مقطع الوسط:

و بعدما افتتح النبي هود قومه ها هو ينتقل إلى الموضوع الذي أرسل من أجله و المتمثل في دعوتهم إلى إفراد الله بالعبادة و نبذ عبادة الأصنام و الأوثان، و هكذا كله مستعينا بتذكيرهم بنعم الله عز وجل عليهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ هود الآية 52.

فقد « كانوا أصحاب زروع و بساتين و عمارات حراصا عليها أشد الحرص، فكانوا أحوج شيء إلى الماء، و كانوا مدلين بما أتوا من هذه القوة و البطش و البأس مهيئين من كل ناحية.»[1]

[1])- تفسير البحر المحيط: أبي حيان الأندلسي، الجزء الخامس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1933، ص 232-233.

فقد استعان بتذكيرهم بنعم الله عزّ وجلّ لاستمالتهم إلى الإيمان به و عبادته وحده دون إشراك غيره في العبادة، و ما كان أن تحصل لهم هذه النعم لولا فضل الله عليهم و رحمته بهم.

فما كان من قومه إلاّ أن عارضوا دعواه و أنكروا عليه، قال تعالى على لسانهم:﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ هود الآية 53.

فقد قابلوا دعوة النبي هود بالرفض و ذلك لعنادهم وتكبرهم و تيبيس رؤوسهم، و ما هم بتاركي آلهتهم التي يعبدونها من دون الله، وأعظم من ذلك أن ظنوا أن آلهتهم و أوثانهم أنزلوا به الجنون والاضطراب، يقول تعالى على ألسنتهم:﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ هود الآية 54

فاتهموه بالجنون الذي عاقبته به آلهتهم لما سبّها و صده عن عبادتها و احتقارها و تجريدها من رتبة الألوهية و العبودية و إذلالها بقوله مالكم من إله غيره و أنها لا تنفع و لا تضر- بزعمهم-

فأجابهم النبي هود- عليه السلام- أنه بريء مما يشركون من دون الله في العبادة، فأشهد الله على ذلك وأشهدهم، قال تعالى﴿قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ هود الآية 54، أي مما تعبدون من دون الله من الأصنام و الأوثان، فقد جاءهم و آتاهم بآيات كثيرة تدل على صدق نبوته و دعوته إلا أنهم كذبوا بها و بهتوه.

و قد كان النبي هود عليه السلام متوكلا على ربه عز وجل و يقينه بأنه سينصره على قومه و لا يستطيعوا أن يلحقوا به الأذى، لذلك حثهم على كيدهقَالَ تَعَالَى:﴿مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ۝ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝﴾ هود الآيات 55-56. فلما تيقن أن الله معه و سينصره على قومه و لا يضرونه شيئا، حثهم على كيده هم و آلهتهم التي يعيدونها من دون الله، وما هي إلا تماثيل

لا تنفع و لا تضر، فإن دل على شيء فإنما يدل على قوة إيمان النبي هود بالله عز وجل و تيقنه بالنصر من عند العزيز الجبار.

فقد سلم أمره إلى خالقه عز وجل، فهو متيقن أنه لن يتركه و لن يخذله، فهو محيط بهم جميعا،﴿ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ ﴾ هود الآية 56 أي « قاهر لها متحكم فيها يقودها حيث شاء و ينزل بها من العذاب ما يشاء.»[1]

ب-3)- مقطع الاختتام:

لما جحد قوم النبي هود بالآيات التي آتاهم بها نبيهم و كذبوا بها، فما كان إلا العذاب و الهلاك، و بذلك جاءت خاتمة قصة النبي هود مع قومه، إذ يقول الله تعالى﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾﴾ هود من الآية 58 إلى الآية 60.

و كانت خاتمة سوء لهم لما جحدوا بالآيات و كذبوا بها و استكبروا عنها، فما كان عقابهم إلا أن يهلكهم الله عز وجل و يعذبهم عذابا شديدا أليمًا، فأرسل عليهم ريحا صرصرا عاتية جعلتهم كجذوع نخل خاوية، ولم تبق لهم باقية، و في المقابل نَجَّ الله الذين آمنوا منهم و اتبعوا الرسل بفضل منه و نعمه.

و هذه النهاية، لا بد أن تكون نهاية كل جبار عنيد، كذب الرسل، و كذب بالحق لما جاءه، استكبارا منه أو بإتباع « أمر دعاة الضلالة من أهل الكبر و العناد للحق فقادوهم إلى سخط الله و أليم عقابه»[2]، و بذلك جرت سنة الله في خلقه.

---

[1])- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: أبي بكر الجزائري، المجلد (02)، راسم للدعاية و الإعلان، ط3، 1993، ص 554.

[2])- المرجع السابق، ص 555.

ج)- التبادلات الكلامية:

لما كانت هذه المحادثة اقتصرت في مضمونها على متفاعلين اثنين فقط و المتمثلان في النبي هود عليه السلام و قومه (عاد)، فإننا نلتمس تبادل كلامي واحد جمع بين هذين المتفاعلين فنلاحظ تبادلات كلامية حدثت بينهما، فالنبي هود عليه السلام يحاول دعوة قومه إلى إفراد الله بالعبادة و عدم إشراك أحد معه في العبادة و الوحدانية، و أنه وحده حقيق بالعبادة، لا أحد سواه، و هذا يتجلى في الآيات الآتية: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ ،و قوله ﴿يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا﴾ و قوله ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ٥٢﴾ و قوله ﴿قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ٥٣﴾ و قوله ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖ﴾ إلى آخر الآيات الدالة على ذلك.

و قد استعان النبي هود في دعوته لقومه بتذكيرهم بنعم الله عزّ وجلّ، و المعروف أن عاد كانوا ذو نعم عديدة و كانوا أولوا بأس شديد و قوة، و كما تقدم، أنه استعان بهذا الأسلوب لاستمالتهم إلى الإيمان بالله و حده و نبذ كل ما سواه.

و يمكن التمثيل لهذا التبادل كما يلي:

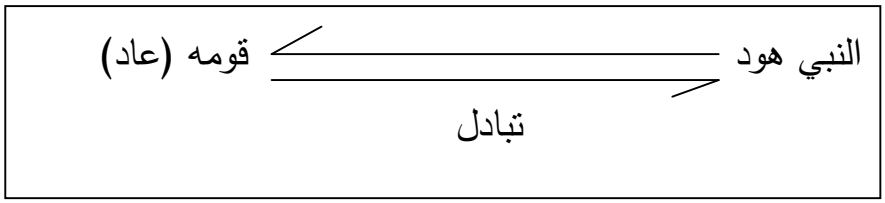

كما يمكن التمثيل لها بالشكل الآتي الذي يبين الأعضاء المتفاعلة و المتلقية في هذه المحادثة.

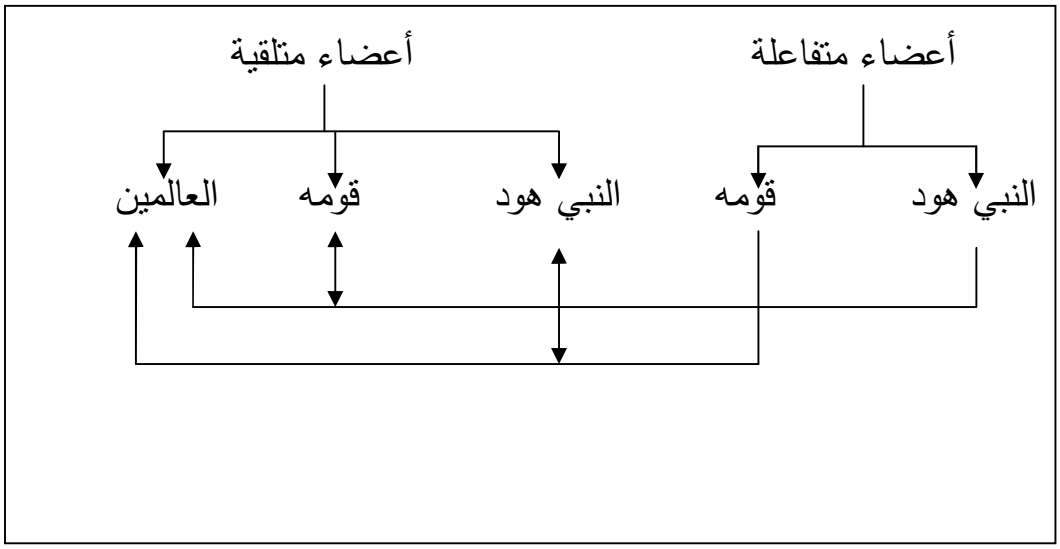

فالمخطط يبين التفاعل الذي حدث بين النبي هود عليه السلام و قومه، فكل منهما لعب الدورين معا، دور المرسل و دور المتلقي، و كما تم الإشارة سابقا بأن المحادثات، حدثت في زمن غابر و نقلت إلينا من خلال سورة هود و بالتالي فإن هذه المحادثة ككل موجهة إلى متلق واحد هو الرسول صلى الله عليه وسلم و من توجه إليهم بدعوته من الصحابة و التابعين و الناس أجمعين.

3)- المحادثة الثالثة: محادثة النبي صالح عليه السلام مع قومه

قَالَ تَعَالَى: ﴿* وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ
ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا
قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ
إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِى
غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا
بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ
مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ

﴿يَوْمِئِذٍ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ۗ أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾﴾

هود من الآية 61 إلى الآية68.

إن النبي صالح- عليه السلام- نبي أرسله الله تعالى إلى قوم ثمود، « و ثمود أمة عظيمة من العرب البائدة و هم أبناء ثمود بن جاثر ابن إرم بن سام بن نوح(...) و كانت مساكنهم بالحِجر بين الحجاز و الشام و هو المكان المسمى الآن مدائن صالح.»[1]

و صالح هو « ابن عبيل، ابن آسف بن ماشج أو شالخ بن عبيل بن جاثر و يقال كاثر ابن ثمود.»[2]

وردت ذكر قصة صالح مع قومه ثمود في عدة سور منها: سورة الأعراف، هود، الحِجر، الشعراء، وفصلت، و الإسراء، و النمل، و الذاريات... حيث ذكرت في بعضها بشيء من التفصيل، و في بعضها الآخر بأقل تفصيل، و في بعض الآخر مجرد إشارة إليها.

أ)- أعضاء التفاعل:

لا تختلف محادثة النبي صالح مع محادثة النبي هود عليه السلام مع قومه إلا في المرسل و المتلقي، فإذا كانت تلك الأخيرة تتضمن متفاعلين اثنين، كذلك هذه أيضا تتضمن متفاعلين اثنين و المتمثلان في النبي صالح عليه السلام مع قومه ثمود.

- النبي صالح عليه السلام:

لقد اختص الله النبي صالح عليه السلام برسالته ليحملها إلى قومه (ثمود)، فأتاهم يدعوهم إلى عبادة الله عز وجل و حده لا شريك له، قال تعالى: قَالَ تَعَالَى:﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾ هود الآية 61.

[1])- تفسير التحرير و التنوير: الطاهر بن عاشور، الجزء(02) من المجلد (08)، ص 216.

[2])- المرجع نفسه، ص 216.

فالأمر الذي جاء به النبي صالح من أجله إلى قومه هو نفسه الذي جاء من أجله من سبقه من الأنبياء أمثال النبي نوح عليه السلام و هود عليه السلام، فالغاية واحدة وإن كانت الأقوام و الحقب الزمنية مختلفة.

- قوم النبي صالح عليه السلام (ثمود):

قرية ثمود هي القرية التي بعث إليها النبي صالح عليه السلام، قرية عريقة معروفة، فقد آتاهم الله من القوة و المال و الجاه، حتى أنهم ينحتون الجبال بيوتا، فقد وصفهم الله عز وجل في سورة الفجر بقوله: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ﴾ الفجر الآية (09)؛ و لكن قابلوا نعم الله بالكفر و الإجحاد و لم يكونوا من الشاكرين. و لم يصدقوا و يتبعوا النبي الذي أرسل إليهم، فأهلكم الله عز وجل بعذابه، قال تعالى:﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ هود الآية 67.

ب)-بنية المحادثة:

ب-1)- مقطع الافتتاح:

افتتحت قصة النبي صالح مع قومه ثمود بالركن الأساسي الذي بعثه الله إلى قومه، و هو الركن الذي بعث به جميع الأنبياء و الرسل إلى أقوامهم، ألا و هو دعوة أقوامهم إلى عيادة الله عز وجل وحده قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ هود 61

تمثل الآية السابقة بداية افتتاح المحادثة بين النبي صالح و قومه ثمود، إذ تبين من خلالها أنه ناداهم بقوله:﴿ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾، أي أخلصوا العبادة لله وحده فقط، و انبذوا الآلهة التي تعبدونها من دونه، و التي أوجدتموها أنتم، وذلك بصنعهم إياها بأيديهم ليعيدوها، خابوا و خسروا.

ب-2)- مقطع الوسط:

الملاحظ أن النبي صالح عليه السلام دخل في الموضوع مباشرة و هو دعوة قومه إلى توحيد الله فقط، و إسقاط عبادة الآلهة الأخرى، فهذه الآلهة باطلة لا أصل لها، و إلههم الوحيد الله المستحق بالعبادة، ﴿ مَالَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ هود (61). و قد اعتمد في دعواه على تذكيرهم بدلائل قدرة الله عز وجل ووحدانيته و عظيم قدرته إذ أنشأهم في الأرض و استعمرهم فيها أن جعلهم من ساكنيها و عمارها، فدعاهم إلى طلب المغفرة منه عز وجل من ذنوبهم و سيئاتهم، قال تعالى: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ هود الآية (61).

و ما كان جواب قومه أن اتخذوه مسخرة منه و من كلامه الذي يتفوه به، و ذلك بسبب التكبر و الاستعلاء، قال تعالى على لسانهم: ﴿قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ هود الآية 62، أي «كنا نرجوا أن تعود إلى ديننا، و ذلك أنهم كانوا يرجون رجوعه إلى دين عشيرته، فلما أظهر دعائهم إلى الله عزّ و جلّ و ترك الأصنام زعموا أن رجاءهم انقطع منه.»[1] فقالوا له ﴿ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ﴾ أي اقتفوا آثار آبائهم في العبادة، فعبدوا ما عبد آبائهم من التماثيل و الأصنام و الأوثان، أو لو كان آبائهم لا يفقهون شيئا و لا يهتدون؟ و أنهم كانوا على ضلال مبين، و زيادة على ذلك أنهم شكوا في دعوته و في قوله و لم يصدقوا ما كان يدعوهم إليه أن يعبدوا غير ما كانوا يعبدون، قال تعالى﴿ وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ هود الآية (62).

[1])- تفسير البغوي (معالم التنزيل): أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، م 4، دار طيبة للنشر و التوزيع، الرياض، 1411هـ، ص 185.

فهم مذبذبين و مضطربين غير مطمئنين إلى ما يدعوهم إليه من عبادة الله وحده، فأجابهم بأسلوب لطيف قصد العودة إلى رشدهم و يُسْلموا للّه و يؤمنوا به و يُصدقوا ما كان يدعوهم إليه. فقال: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنۡهُ رَحۡمَةٗ فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنۡ عَصَيۡتُهُۥۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيۡرَ تَخۡسِيرٖ﴾ هود الآية (63). أي « أخبروني يا قوم إن كنت في الحقيقة على حجة و برهان و بصيرة من ربي الذي آتاني من جهته نبوة، فمن ينجيني من عذابه إن عصيته بالمساهلة في تبليغ الرسالة و المجاراة معكم فيما تأتون و تذرون.»[1]

و لما كانت لكل نبي و رسول آية يستشهد بها أنه رسول و نبي من عند الله، و معجزة ليقيم الحجة عليهم، فالنبي صالح خصه الله تعالى بالناقة آية لقومه و صدقا على نبوته، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٞ قَرِيبٞ﴾ هود الآية (64).

فقد روي« أن قومه طلبوا منه أن يخرج ناقة عشراء من هذه الصخرة الصماء، و أشاروا إلى صخرة أمامهم، قال: فدعا صالح ربّه فتمخضت الصخرة و سمع لها أنين كأنين الناقة، ثم خرجت منها ناقة كأعظم ما يكون من النوق، وولدت في الحال ولدًا مثالها.»[2] فهذه آية لكم و صدقا على نبوتي فلا تمسوها بسوء و إلا سيصيبكم من الله عذاب قريب جراء إساءتكم إلى الناقة.

جرت سنة الله في خلقه أن المتكبرين و المعاندين لا يسمعون كلام الناصحين و لا يقبلون بأن يشير إليهم أحد بأمر ما إما قولًا أو فعلًا، و هذا ما حدث مع قوم النبي صالح، لما أمرهم بأن لا يمسوا الناقة بسوء إلا أنهم لم يستجيبوا لذلك، و إن كانوا لم يعقروها في ذلك الحين، بل كان بعد مدة من الزمن، لكن عقروها في الأخير و أهلكوها.

[1])- تفسير أبي السعود: ج 4، ص 221.

[2])- تفسير القرآن: لأبي المظفر السمعاني، ج 02، دار الوطن للنشر، الرياض، ط (01)، 1997، ص 239-440.

ب-3)- مقطع الاختتام:

و لما كان الله تعالى يَجْزِي الذين آمنوا و عملوا الصالحات بالحسنى، كذلك هو يجزي من عصى أوامره بالعذاب الأليم الشديد، و قوم صالح عصوا أمر ربهم، فتوعدهم بالعذاب الأليم الذي سيصيبهم بعد أيام، و قد قدّرها الله لهم بثلاثة أيام، قَالَ تَعَالَى:﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ هود الآية 65.

و قد روي « أنه قال لهم: يأتيكم العذاب بعد ثلاثة أيام، فتصبحون اليوم الأول ووجوهكم مصفرة، ثم تصبحون اليوم الثاني ووجوهكم محمرة، ثم تصبحون اليوم الثالث ووجوهكم مسودة، فكان كما قال، وأتاهم العذاب اليوم الرابع.»[1]

قال تعالى: قَالَ تَعَالَى:﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ ﴿٦٨﴾﴾ هود الآيات من (66) إلى (68).

بهذه الآيات اختتمت قصة النبي صالح مع قومه، و آتاهم ما وعدهم الله بهم من العذاب لما عصوا أمره و استكبروا و عاندوا، فأهلكم الله بالصيحة فأصبحوا جاثمين ميتين، ولم تبق لهم باقية، و ذلك جزاء من عاند و استكبر، و بالمقابل نَجَّ الله النبي صالح عليه السلام والذين آمنوا معه، لعل الناس يتدبرون.

ج)- التبادلات الكلامية:

نلتمس حدوث تبادلات كلامية بين النبي صاح عليه السلام و قومه محاولا دعوتهم إلى توحيد الله عزّ وجلّ و عبادته، و تذكيرهم بنعم الله عز و جل عليهم، و آتاهم ببينة تدل على صدق نبوته و أنه مرسل من عند الله عز و جل و ليس بمفتر كذاب أو دجال، أما قومه فقد كذبوه و استهزؤوا به و لم يصدقوه، ووصل بهم الأمر إلى عقر الناقة التي كانت معجزة على

[1])- المرجع نفسه، ج 02، ص 440.

صدق نبيهم، فمسّهم عذاب أليم جزاء بما عصوا رسولهم و لم يصدقوه، فعاقبهم الله سبحانه و تعالى بالصيحة، فأصبحوا جثث هامدة في رمشة عين.

أما المتلقي المتمثل في العالمين الين تتوجه إليهم الرسالة المحمدية فهو متلق فقط، و لا يحدث أي تفاعل و تبادل للأدوار الكلامية، فالقرآن موجه إلى الناس ليدبروا آياته و يعملوا بأحكامه، و ذكر مثل هذه القصص (قصص الأنبياء مع أقوالهم) ليزيد الإنسان تدبرًا في آيات الله، و يعلم أن الله على كل شيء قدير، فلا يغتر بماله و لا قوته و لا صحته و لا سلطانه، فإذا أراد الله أن يهلكه يكون ذلك بكلمة، فأمره بعد كن فيكون، و لا يعجزه شيء.

و من خلال قراءة الإنسان لهذه القصص يزداد يقينا أن الله أهلك أقواما في القرون الأولى، فيمكن أن يهلكه أيضا في أي لحظة، و ليعلم الإنسان أن الحق دائما منصور و الباطل مخذول و حبله قصير.

و يمكن التمثل لهذا التبادل كما يلي:

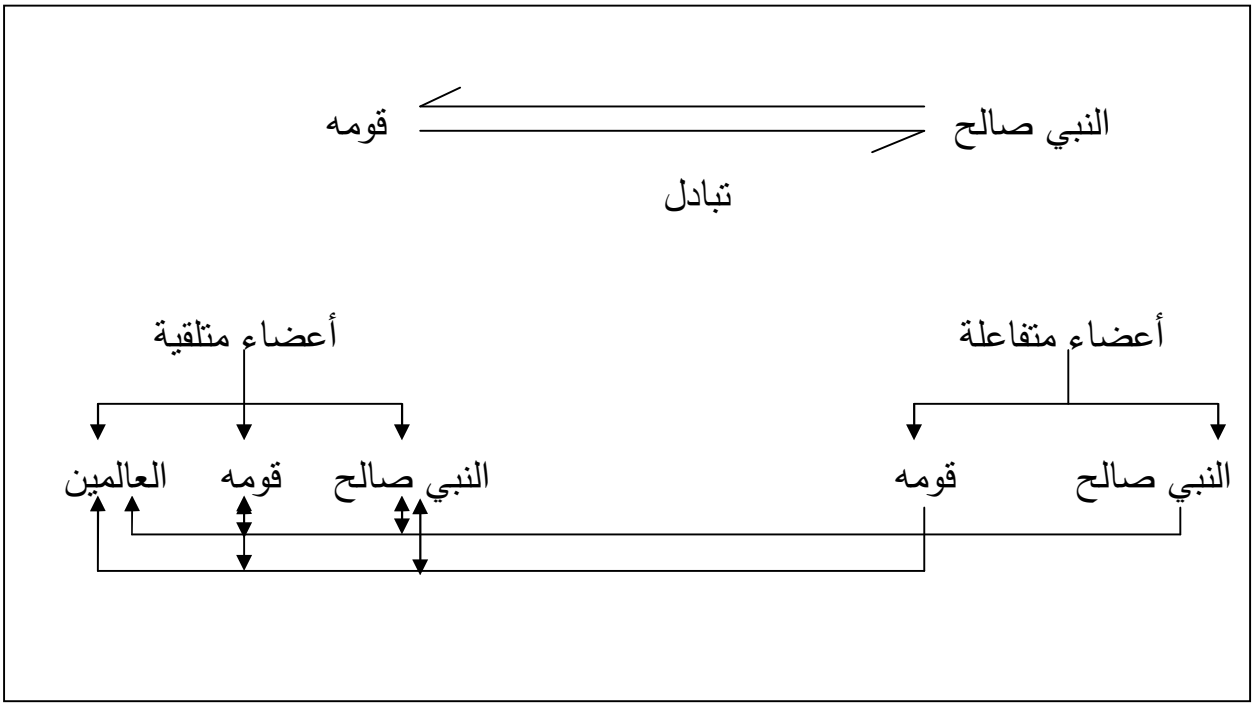

فالملاحظ من خلال هذا المخطط الذي يضم الأعضاء المتفاعلة و المتلقية في هذه المحادثة لا يختلف عن مخطط المحادثة السابقة (محادثة هود مع قومه).

4)- المحادثة الرابعة: النبي لوط مع قومه: " من الآية 69 إلى الآية 83"

قبل التطرق إلى المحادثة التي جمعت النبي لوط مع قومه سنعمل على التعريف بالنبي لوط و قومه إذ حيث يعرف لوط بأنه « ابن هارون بن تارح، فهو ابن أخي إبراهيم، ولد في (أور الكلدانيين)، و مات أبوه قبل تارح، فاتخذ تارح لوطا في كفالته، و لما مات تارح كان لوط مع إبراهيم ساكنين في حاران (حوران) بعد أن خرج تارح أبو إبراهيم من أور الكلدانيين قاصدين أرض كنعان، و هاجر إبراهيم مع لوط إلى مصر لقحط أصحاب بلاد كنعان، ثم رجعا إلى بلاد كنعان، وافترق إبراهيم و لوط بسبب خصام وقع بين رعاتهما، فارتحل لوط إلى (سدوم)، و هي من شرق الأردن إلى أن أوحي إليه بالخروج منها حين قدّر الله خسفها عقابا لأهلها، فخرج إلى (صوغر) مع ابنته و نسله هناك، و هم (المؤابيون) و (بنوعمون).»[1]

و كان قوم لوط « خليطا من الكنعانيين و ممن نزل حولهم... و قد نزل ببلاد سدّوم و لم يكن بينه و بينهم قرابة، و القوم الذي أرسل إليهم هم أهل قرية سدوم و عمورة من أرض كنعان... و هم أسلاف الفنيقيين و كانتا على شاطئ السديم، و هو بحر الملح، وهو البحر الميت المدعو (بحيرة لوط) بقرب أرشليم.»[2]

تختلف هذه المحادثة عن بقية المحادثات الأخرى، فما يميزها عن الأخريات أنها« أدرجت شيئا من أخبار إبراهيم عليه السلام، لأن له مدخلا في قصة لوط، و كان إبراهيم ابن خالة لوط.»[3]

و قد قيل إنما سبقت قصة لوط بذكر إبراهيم « للتنويه بمقامه عند ربه»[4] و المكانة التي يحتلها إبراهيم عند الله عز وجل،إذ اتخذه الله خليلا.

---

[1])- التحرير و التنوير: ج7، ص 343.

[2])-المرجع نفسه، ج8، ص 229-230.

[3])- تفسير البحر المحيط: ج 5، ص 241.

[4])- التحرير و التنوير، ج 12، ص 116.

و ما يميزها أيضا عن البقية أن أسلوبها مختلف، فنلاحظ في القصص الأخرى أنها تبتدئ بقوله تعالى:" و إلى عاد"، " و إلى ثمود"، " و إلى مدين" عكس قصة لوط التي ابتدأت بالبشارة لامرأة إبراهيم و له أيضا.

و هذه المحادثة الوحيدة التي افتتحت بعبارات التحية الجلية في قوله تعالى:﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ هود الآية 69. فمرحلة الافتتاح في هذه المحادثة ظاهرة واضحة جلية غير غامضة، يعرف القارئ أو المستمع أنه بداية حدوث تواصل كلامي بين اثنين، و لأنه أيضا حدث بعبارات التحية التي هي السلام.

و قد عرف عن إبراهيم أنه مكرما للضيف، فلما جاءت الملائكة ما لبث أن جاء بعجل سمين حنيذ قدمه لضيوفه الذين لا يعرف هويتهم بعد، و لما قدمه لهم أوجس منهم خيفة فنكرهم، لأنهم لم يمدوا أيديهم إلى الطعام، فتعجب و استغرب، فالمعروف أنه من قُدِّم له طعام يأكل، فما بال هؤلاء لا يأكلون؟ و بينما هو في تلك الحالة من التعجب و الاستغراب و التفكير في أمرهم، قطعوا عليه تعجبه فأخبروه بأنهم أرسلوا إلى قوم لوط، لينزلوا بهم العذاب جزاء اقترافهم السيئات و فعلهم المنكرات، و كان من المعروف أن إبراهيم – عليه السلام– لم يكن له ذرية إلا بعد ما أصبح شيخا كبيرًا، فلما أرسل الملائكة إلى قوم لوط، مروا بإبراهيم ليبشروه بغلام عليم، مما جعل امرأته تضحك متعجبة وتَصُكُ وجهها سائلة يا ويلتي أألِدُ و أنا عجوز و هذا بعلي شيخا"، هود، فكيف لعجوز مثلي و في سني أن تلد؟ و لم تعلم أن الله على كل شيء قدير، و أنه إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون، لذا قال لها الملائكة منكرين لتعجبها، إنه أمر الله فلا مَرَدّ له. و ما يميز هذه المحادثة عن غيرها، أنها تتضمن موضوعيين، فيتمثل الموضوع الأول في بشارة إبراهيم بالغلام، و يتمثل الموضوع الثاني في إهلاك قوم لوط، فيدل على الموضوع الأول قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ هود الآية 69. بينما يدل على الموضوع الثاني قوله تعالى على لسان الملائكة:﴿ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴾ هود الآية 70.

و قد سُبق الكلام، لماذا ذكر إبراهيم في قصة لوط.

و لما كان الله عز وجل يختص برحمته من يشاء من عباده، فقد اختص إبراهيم عليه السلام بأن يرزق بولد وهو شيخ طاعن في السن وامرأته عجوز، فهذه رحمة من الله عز وجل لعباده المؤمنين، فلا عجب من قدرة الله سبحانه و تعالى ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ هود الآية 73 « منكرين عليها فإن خوارق العادات باعتبارها أهل بيت النبوة و مهبط المعجزات، و تخصيصهم بمزيد من النعم و الكرامات ليس ببدع و لا حقيق بأن يستغربه عاقل»[1].

و لما اطمأن إبراهيم بأنهم ملائكة لا يريدون به أذية و لما بشروه بغلام ذهب عنه الفزع و الخوف و ذهب يجادل في قوم لوط، فجاءه أمر ربه أن يكف عن الجدال، فإنه آتيهم العذاب و لن يرده أحد. ثم نلاحظ الانتقال للحديث عن قوم لوط- عليه السلام- فبعدما بشروا إبراهيم بالغلام خرجوا من عنده متوجهين إلى لوط و قومه. و هو الانتقال إلى الموضوع الرئيسي الذي أتوا من أجله و هو إهلاك قوم لوط، هذا، فلما رآهم لوط سيء بهم و ضاق بهم ذرعا، لأنهم أتوه على شكل غلمان بصورة حسنة، و خاف من قومه إن رأوهم سيهرعون إليه، و كان الحال كذلك، فلما علم قومه بهم أتوا إليهم يجرون لعلهم يضفرون بهم، فأراد لوط أن يصرفهم عنهم، لأنهم ضيوفه، و لم يكن يعلم أنهم ملائكة جاؤوا ليهلكوا قومه بالعذاب الأليم.

و نلاحظ حدوث تفاعل بين لوط و قومه محاولا أن يصرفهم عن ضيفة و أن يتركوا فعلتهم الشنيعة فقال قَالَ تَعَالَىٰ:﴿قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِى ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾﴾ أليس فيكم رجل يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر، رجل عاقل، و ما كان جواب قومه إلا أن اعترضوا عليه و صارحوه بصريح العبارة أن لا شأن لهم ببناته و قالوا له إنك تعلم ما نريد، ثم بشره الملائكة و أخبروه أنهم رسل ربه أرسلهم ليعذبوا أهل هذه القرية ذو الفعلة الشنيعة، فأمروه أن يخرج مع أهله في الليل و لا يلتفت

[1])- أنوار التنزيل و أسرار التأويل: ناصر الدين البيضاوي، ج3، دار أحياء التراث العربي، بيروت، ط1، ص142.

إليهم، فإنه آتيهم عذاب غير مردود. و لما كان للظالمين موعد يهلكون، فقد جعل الله سبحانه و تعالى موعد هلاكهم الصبح، أليس الصبح بقريب، فجعل عالي قريتهم سافلها و سافلها عاليها و أتبعهم بحجارة مسومة عقابا لهم لاقترافهم السيئات، و بهذا كانت خاتمة المحادثة (القصة) بهلاك القوم المجرمين.

أعضاء التفاعل:

محادثة لوط مع قومه هي كذلك تتضمن عدد لا بأس به من الأعضاء المتفاعلة، يتمثل هؤلاء الأعضاء في الملائكة، و النبي إبراهيم، امرأة إبراهيم، النبي لوط، و قومه، فنلمس تبادلات كلامية بين هؤلاء، و كما سبق الذكر أن ذكر إبراهيم في هذه المحادثة أو (القصة) لبيان مكانة إبراهيم عند الله عز وجل، و إضافة إلى صلة القرابة بينه و بين لوط- عليهما السلام-

و كما تم الإشارة أيضا أن هذه المحادثة تُميز عن غيرها كونها تتضمن موضوعين، فالموضوع الأول يتمثل في بشارة الملائكة لإبراهيم بالغلام، أما الموضوع الثاني فيتمثل في إهلاك قوم لوط.

تتمثل التفاعلات الكلامية في الموضوع الأول بين الملائكة و إبراهيم و امرأته، فلما جاؤوا إلى إبراهيم وجل منهم و أوجس في نفسه خيفة منهم لأنه لم يعرفهم خاصة بعدما قدم لهم الطعام. فأبت أيديهم أن تصل إليه، ما زاد خوفه و إنكاره لهم، ثم صرحوه بالحقيقة أنهم رسل ربه أرسلوا إلى قوم لوط، و قد قيل أنه قد بشروه بالغلام قبل أن يقولوا له أنهم أرسلوا إلى قوم لوط، مما جعل امرأته تضحك متعجبة مستغربة من هذه البشارة، مما جعلها تتساءل إنكاريا أألد و أنا عجوز و هذا بعلي شيخا، لأنها لم تسمع بهذه الخارقة من قبل هذا، و لم تعلم أن الله على كل شيء قدير، و من رحمته أنه يؤتي فضله لمن يشاء من عباده، هكذا أجابتها الملائكة، فقالوا ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ فالله فضلكم على العالمين.

فيمكن التمثيل لهذه التبادلات كما يلي:

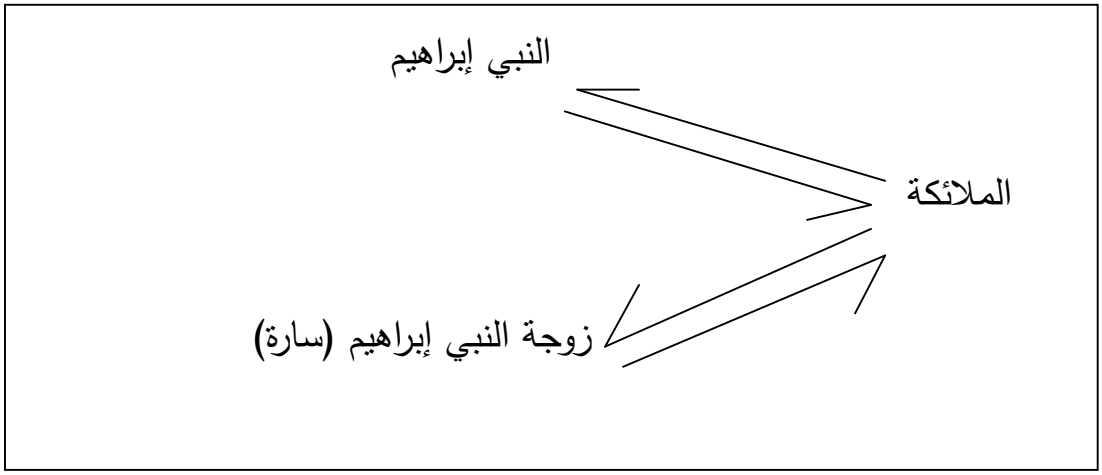

الملاحظ أن الملائكة هم سيدوا الموقف، فهم مسيروا المحادثة، فالجزء الأكبر كان من نصيبهم، فنلاحظ تبادلات كلامية بين الأعضاء المتفاعلة مما ساهم ببناء حسن للمحادثة و سيرورتها، و لما ذكر موضوع إبراهيم مع الملائكة قبل الولوج إلى موضوع لوط عليه السلام، زاد هذه المحادثة بيانا و بديعا، و قصة إبراهيم مع الملائكة جاءت هنا مختصرة، ربما للفت انتباه القارئ أو المستمع أو لغرض لغوي أو بياني.

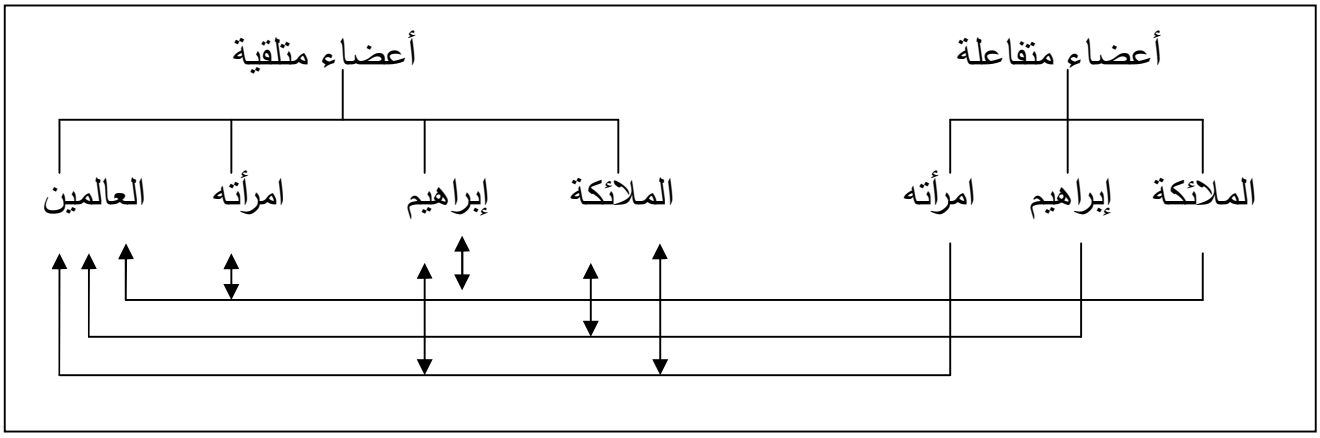

أما الموضوع الثاني و هو الموضوع الرئيسي من ذكر هذه المحادثة و هذه القصة بالتحديد، فهو إرسال الملائكة إلى قوم لوط لينزلوا عليهم عذاب ربهم، فهذا الأخير يضم تفاعلات

كلامية بين أعضائها المتمثلين في الملائكة و النبي لوط و قومه، فنلتمس تفاعلات كلامية بين هؤلاء و إن كانت مختصرة بعض الشيء إلا أنها أدت الغرض من وجودها، فساهمت في بناء المحادثة و على سيرورتها. و قوم لوط معروف أنهم أصحاب فعلة شنيعة قبيحة ولم يسبقهم إليها أحد من العالمين، فنهاهم لوط و غلظ عليهم و نصحهم بتركها ووعظهم كثيرا فلم يجد أذان صاغية، فأرسل الله الملائكة و قيل أن عددهم ثلاثة جبريل و ميكائيل و اسرافيل، أتو إلى لوط، بصورة غلمان ذو حسن و بهاء فرآهم قومه فجاءوا إليهم مسرعين يهرعون، وقد قيل أن امرأة لوط هي من أخبرت القوم بقدوم هؤلاء الضيوف إلى لوط، فكان جزاؤها أنها كانت من المهلكين، فلما جاؤوا إليه ضاق صدره منهم، ووبخهم بقوله أليس فيكم رجل رشيد؟ ذو عقل و رجولة فعال للخير و مناع للشر، فقالوا له أنت تعلم سبب مجيئنا إليك و تعرف ماذا نريد، فطمأنه الملائكة أنهم لا يستطيعون الوصول إليهم و لا يتحقق الأمر الذي جاؤوا من أجله، و أن الله أرسلهم ليعذبهم بذنوبهم، فأمروه ليخرج و أهله في الليل ليكون من الناجين من العذاب الذي سيحل بقومه الذي كان موعده الصبح.

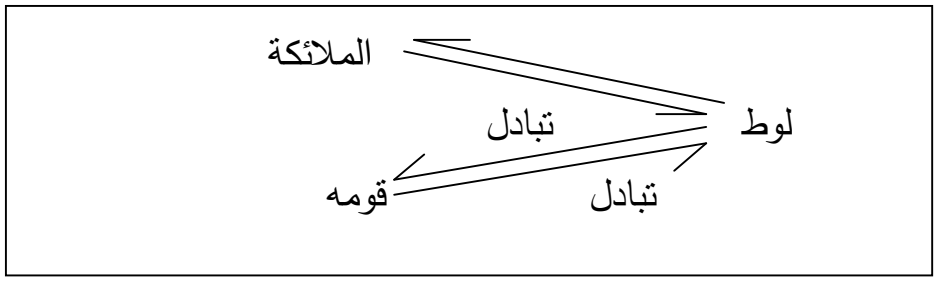

يبين لنا هذا المخطط التبادلات الكلامية التي حدثت بين لوط و الملائكة و مع قومه، كما أشار إلى المساهمات التي قام بها كل واحد من هذه الأعضاء، و إن كان النصيب الأكبر للنبي لوط فالملائكة ذو تدخل واحد و قومه أيضا كذلك، و لكن ذلك ساهم في سير المحادثة و ضمن عدم انقطاعها.

5)- **المحادثة الخامسة: محادثة النبي شعيب مع قومه:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿* وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ ۖ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾﴾ هود من الآية (84) إلى الآية (95).

شعيب هو النبي الذي أرسل إلى قبيلة مدين، « و مدين أمة سميت باسم جدها مدين بن إبراهيم الخليل، من زوجه الثالثة التي تزوجها في آخر عمره و هي سرية اسمها قطورا، و تزوج مدين ابنة لوط و وُلد له أبناء (...) و من ذريتهم تفرعت بطون مدين(...) و مواطنهم بين الحجاز و خليج العقبة بقرب ساحل البحر الأحمر (...) و تسمى بلادهم الأيكة، و يقال أن الأيكة هي تبوك(...) و كانت بلادهم قرى وبوادي، و كان النبي شعيب عليه السلام هو رسول لأهل مدين، و هو من أنفسهم(...) و كان موسى عليه السلام لما خرج من مصر نزل بلاد مزين وزوجه شعيب ابنته المسماة صفورة، و أقام موسى عليه السلام عنده عشر سنين أجيرًا.»[1]

أ)- أعضاء التفاعل:

كذلك في هذه المحادثة نلتمس عضوين متفاعلين اثنين و المتمثلان في النبي شعيب عليه السلام و قومه مدين.

- النبي شعيب عليه السلام:

لا تختلف مهمة النبي شعيب عليه السلام عن مهمة الأنبياء الذين سبقوه، فكما بعث أولئك إلى أقوامهم لدعوتهم إلى العبودية لله و إقامة الحجة عليهم، كذلك النبي شعيب أرسل إلى قومه لنفس الغرض و الغاية، و يتجلى ذلك في قوله تعالى:﴿ ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ﴾ هود الآية (84)، فتدل الآية على أن النبي شعيب أرسل إلى قومه ليدعوهم إلى عبادة الله وحده.

- قوم النبي شعيب عليه السلام "مدين":

قوم مدين هو القوم الذي أرسل الله عزّ و جلّ إليه نبيه شعيب يدعوهم إلى عبادة الله جلّ وعلا، بالإضافة إلى نهيهم و زجرهم عن إنقاص الكيل و التطفيف في الميزان، فقد كانوا يسرقون الناس أشياءهم و يعثون في الأرض فسادًا، فأرسل الله سبحانه و تعالى إليهم نبيه

[1]- التحرير و التنوير، ج2 من المجلد 8 ، ص 239- 240.

شعيب لعلهم يستجيبوا لدعوته و ينتهوا عما كانوا يعملون، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ۚ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ ﴿٨٤﴾﴾ هود الآية (84).

ب)- بنية المحادثة:

ب-1)- مقطع الافتتاح:

نلتمس الافتتاح في هذه المحادثة من خلال قوله تعالى﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ۚ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ ﴿٨٤﴾﴾ هود الآية (84).

فقد دلت هذه الآية على بداية افتتاح المحادثة بين النبي شعيب و قومه، إذ دعاهم إلى عبادة الله وحده، ثم يتبع هذه الدعوة و هذا النداء بجملة من الأوامر الناهية كإنقاص المكيال و الميزان و إلى عدم التطفيف فيه و سرقة الناس أشيائهم قال تعالى﴿وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾ هود الآية (85).

فقوم مدين (النبي شعيب) إضافة إلى عبادتهم غير الله، لهم مساوئ أخرى و أخلاق منبوذة و التي دلت عليها الآية السابقة الذكر من التطفيف في الميزان و فساد في الأرض بغير حق.

ب-2)- مقطع الوسط:

لما ناد النبي شعيب قومه دخل في الموضوع مباشرة و دعاهم إلى توحيد الله، و لكن ما يجب التنبيه إليه أن هذه المحادثة يصعب تحديد الموضوع فيها، وذلك لكثرة المواضيع التي تضمنتها، فلما دعاهم إلى عبادة الله وحده، نلاحظ أنه انتقل مباشرة إلى موضوع آخر و هو أمرهم بالانتهاء عن التطفيف في الكيل و الميزان و بخس الناس أشياءهم، ثم موضوع الإفساد في الأرض، وذلك ما تبينه الآيات الآتيةقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۖ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ٨٤﴾ هود الآيات (84-85).

الموضوع في هذه المحادثة من المواضيع المعقدة، لأنه يصعب تحديده ومعرفته بسهولة، لأنه ينتقل من موضوع إلى آخر، فلما بدأهم و دعاهم إلى توحيد الله انتقل بهم إلى زجرهم عن فعلهم بإنقاصهم الكيل و الميزان، ثم الانتقال بهم إلى نهيهم عن الإفساد في الأرض بغير حق.

و القارئ لهذه المحادثة في هذه الآيات يستشعر ذلك، ويلاحظ أنه هو أيضا ينتقل به من موضوع إلى آخر، كون هذا الخطاب موجه إليه أيضًا للعظة و العبرة.

و كذا جرت سنة الله في المعتدين المتكبرين أنك مهما أتيتهم بآية و بينت لهم لن يصدقوا ولن يؤمنوا، قوم شعيب مثل الأقوام الأخرى جعلوا أصابعهم في آذانهم و لم يتعظوا بالآيات التي أرسل بها المرسلون، فقد قابلوا دعوة نبيهم بالرفض و الإنكار و الاعتراض، و هذا ما دلت عليه الآيات الآتية: قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ هود الآية (87)، وقوله ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ﴾ هود الآية (91).

فشعيب لم يترك قومه إلا و آتاهم بالبينات التي تدل على صدق نبوته و رسالته، و ذكرهم بنعم الله عليهم و فضله، وذكرهم بالأمم السابقة، وما كان عقابهم و ما أصابهم من العذاب الأليم و العقاب الشديد، لعلهم يرجعون إلى أنفسهم و يتفكرون في آيات الله لعلهم يهتدوا ويؤمنوا بالله العزيز الحميد، و يستغفروه من ذنوبهم فيغفر لهم و يتوب عليهم، لكن هيهات هيهات، فلا حياة لمن تنادي، فقد اعرضوا واستكبروا و جعلوا آيات الله ورائهم ظِهْرِيًّا.

ب-3)- مقطع الاختتام:

و لما كان حالهم هكذا- أي- الإعراض عن آيات الله و الجحود بها، فلا بد أن يصيبهم ما أصاب أسلافهم من الأمم الغابرة، أمثال قوم نوح، وهود، و صالح، ولوط، وبهذا كانت نهاية محادثة شعيب مع قومه لما تبرأ منهم و يئس و ملّ من دعوتهم لأنّه لم يؤمن معه إلا القليل، قَالَ تَعَالَى:﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ﴾ هود الآية (93).

فوعدهم بالعقوبة التي ستنزل لهم لإعراضهم عن الآيات و عن الذكرى، فأهلكوا بالصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين، فما أغنت عنهم قوتهم و بأسهم و لا كثرة جمعهم.

ج)- التبادلات الكلامية:

تقتصر هذه المحادثة على متفاعلين اثنين، والتبادلات الكلامية قد حدثت بين هذين العضوين المتفاعلين و هما النبي شعيب عليه السلام و قومه، قَالَ تَعَالَى:﴿* وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۖ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ٨٤ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٨٥﴾ هود الآية 84-85.

فالنبي شعيب يوجه الكلام إلى قومه فيدعوهم إلى توحيد الله مستعينا بالتذكير و يأمرهم بأن ينتهوا عن الصفات الذميمة المتمثلة في إنقاص الكيل و الميزان و سرقة الناس أشياءهم و ذلك بالاعتماد على أساليب اقناعية و بأسلوب الترغيب و الترهيب، أما قومه فيرجعون إليه الكلام منكرين و معرضين و مستهزئين به و إلى ما يدعوهم إليه، قال الله على لسانهم: قَالَ تَعَالَى:﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ٨٧﴾ هود الآية(87).

و يمكن التمثيل لهذا التبادل بالشكل الآتي:

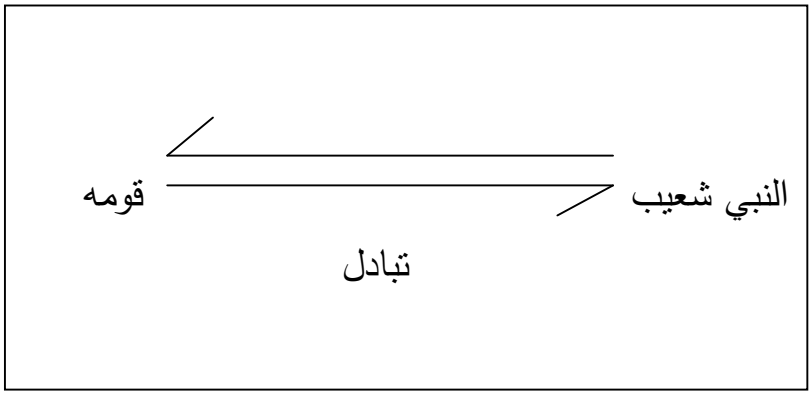

و المخطط الآتي يجمع بين الأعضاء المتفاعلة و الأعضاء المتلقية و يبين التبادلات التي جرت بينهما:

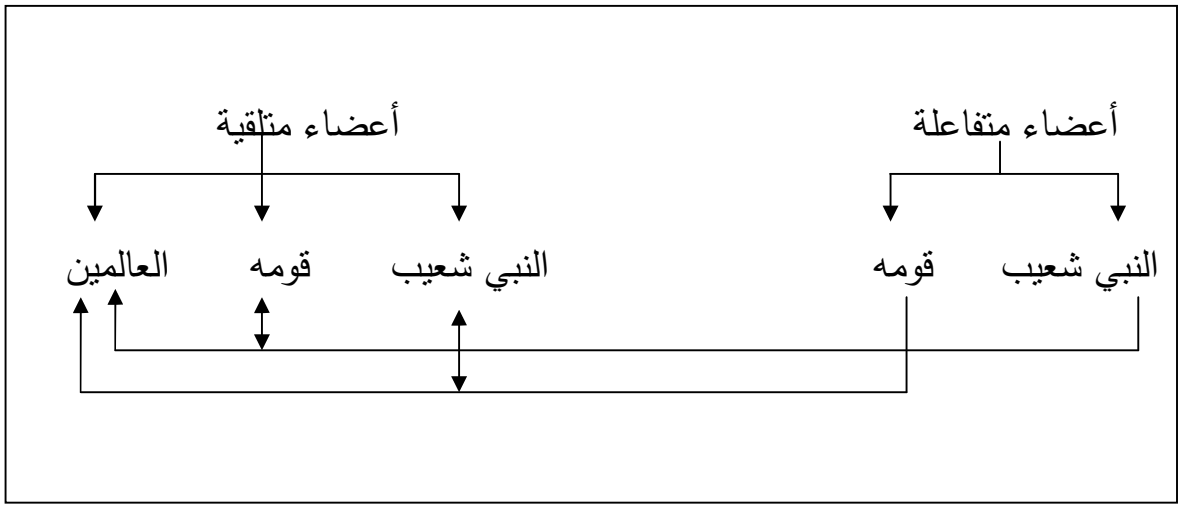

فالتبادل حدث بين هذين الاثنين (النبي شعيب و قومه) و فق تسلسل كلامي منتظم ممّ ضَمِنَ استمرار المحادثة بينهما إلى أن قطعها النبي شعيب عندما تبرأ منهم و جادلهم بما فية الكفاية.

الفصل الثاني:

بنيـــة الحجـــاج فـي القـــرآن الكـريـــم

أولا: مفهـوم الحجـــاج

ثانيا: الحجـاج قديمـا و حديثـا

ثالثا: أنـــواع الحجـاج

رابعا: آليـات الحجـاج

خامسا: بنيـة الحجـاج فـي سـورة "هـــود"

إن المتتبع لأثر مصطلح الحجاج يجده متداولًا بكثرة من قبل القدامى و المحدثين، و في مجالات و ميادين شتى و في مختلف الحقول المعرفية المتناولة له بالدراسة كالفلسفة و المنطق و البلاغة و اللسانيات والقانون... الخ، و قبل الولوج و الغوص في ثنايا الحجاج للكشف عن أسراره و خباياه، لا بد في البداية أن نقف على مفهومه و التطرق إليه من الناحية اللغوية و الإصلاحية.

أولا. مفهوم الحجاج:

1)- لغة:

ورد في لسان العرب لابن منظور تحت مادة حجج ما يلي:

« حاجيته: أحاجه حجاجا و محاجة حتى حججته، أي أغلبته بالحجج التي أدليت بها(...)، و الحجة: البرهان، و قيل الحجة ما دوفع به الخصم، وقال الزهري: الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، و هو رجل مِحْجاجُ أي جدل.

و التَّحاجُ: التخاصم، وجمع الحُجّة: حَجَجَ و حِجَاجُ وحَاجَّهُ مَحَاجَّة و حِجاجًا: نازعه الحجة.

و حَجّهُ يَحُجُّهُ حَجًّا: غَلبَه على حجّته.

و في الحديث: " فحجّ آدم موسى" أي غلبه بالحجة، واحتج الشيء: اتخذه حجّة، قال الأزهري: إنما سميت حجة لأنها تحج أي تقصد، لأن القصد لها و إليها، و كذلك محجة الطريق هي المقصد و المسلك (...)، و الحجة: الدليل و البرهان، يقال: حاججته فأنا محاج و حجيج، فعيل بمعنى فاعل، ومنه حديث معاوية: فجعلت أحجّ خصمي أغلبه بالحجة.»[1]

يظهر من خلال المعنى اللغوي لكلمة حجاج أنها مجاورة لكلمتي البرهان و الدليل، إن لم نقل مرادفة لهما، و يكون دائرًا حول التخاصم و التنازع و الغلبة والجدل، يتم بين طرفين متخاصمين أو متنازعين، و قد قيل أنه بالحجة يغلب أحد الطرفين الطرف الآخر.

[1]- لسان العرب: ابن منظور، دار صادر، بيروت، م2، د ط، د ت، ص 228.

كذا هو الشأن في القواميس الأجنبية، فلا يكاد يختلف المفهوم الأجنبي لكلمة حجاج في المفهوم العربي، فهذه الأخيرة يقابلها كلمة Argumentation في اللغة الأجنبية: حيث نجد القاموس الفرنسي الموسوم بـ : « Le grand robert » يعرفه كما يلي:

« Ensemble d'argument tendant une même conclusion » [1] و

« Action art d'argumenter » [2]

و التي تعني:

القيام باستعمال الحجج قصد تحقيق نتيجة معينة لإقناع الآخر بفكرة معينة.

2)- اصطلاحا:

أما من الناحية الاصطلاحية، فالحجاج يعد من المفاهيم التي يصعب تحديدها و حصرها و الإحاطة بها، بالإضافة إلى كونه من المفاهيم الغامضة الملتبسة لكثرة الحقول المعرفية التي تتطرق إليه و تتناوله بالتحليل و الدراسة.

حيث« نجده متواترا في الأدبيات الفلسفية و المنطقية، و البلاغية والتقليدية و في الدراسات القانونية و المقاربات اللسانية و النفسانية و الخطابية المعاصرة.»[3]

فكونه من المفاهيم الملتبسة بالإضافة إلى كونه متداخل الاختصاصات لأن « ماهية الحجاج تقوم في كونه ينطوي على قدر من الالتباس في الوظيفة، هذا الالتباس الذي نجد له نظيرًا في غيره من طرق الاستدلال، و لولا تضمن الحجاج لهذا الالتباس لما تميزت طريقه عن طريق البرهان، فهذا الالتباس هو إذن الفاصل بين الحجاج و بين البرهان.»[4]

---

[1])- Le grand robert, dictionnaire de la langue française, 1 édition, paris,1990, p65.

[2])- المرجع نفسه ص 65.

[3])- النظرة الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية و المنطقية و اللسانية: محمد طروس، دار الناشر للثقافة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط 1، 2005، ص 06.

[4])- اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي: طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998، ص 230.

فتميز الحجاج بصفة الالتباس و الغموض و الإضمار جعله يختلف عن البرهان الذي يتميز بالظهور و نتيجته موضوعية و يقينية.

و قد عرف طه عبد الرحمن الحجاج بقوله أنه « كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصومة يحق له الاعتراض عليها.»[1]

أي أن الحجاج عبارة عن مجموعة من ملفوظات يتوجه بها المخاطِب إلى المخاطَب بهدف إفهامه و إقناعه في مسألة معينة و محاولة استمالته إليها مع أن هذا الأخير (المخاطَب) له حق الاعتراض على تلك القضية وردها و عدم التسليم بها.

و يضيف الهادي بن ظافر الشهري بقوله أن الحجاج هو « الآلية الأبرز التي يستعمل المرسل اللغة فيها، و يتجسد عبرها إستراتيجية الإقناع."[2]

فيتضح من خلال هذا القول أن الغاية من استعمال الحجاج و الهدف منه هو الإقناع، فالمتكلم (المرسل) يقوم باستعمال الحجج و الأدلة و البراهين، من أجل إقناع الطرف الآخر الذي هو المستمع (المتلقي)، فعلى المتكلم أن يحسن اختيار حججه ليدعم بها كلامه و موقفه، فيتأثر بها المتلقي فتحدث فيه استمالة و إقناعا.

أما بيرلمان و تيتيكا فقد عرفا الحجاج بقولهما أن « موضوع نظرية الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم.»[3]

و قد حددا غاية الحجاج بقولهما أن غاية الحجاج « جعل العقول تذعن لما يطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان فأنجع الحجاج ما وقف في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها

---

[1])- طه عبد الرحمن، المرجع السابق، ص 226.

[2])- إستراتيجية الخطاب مقاربة لغوية تداولية: الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد، لبنان، ط1، 2004، ص 456.

[3])- في نظرية الحجاج دراسات و تطبيقات: عبد الله صولة، مسكيلياني للنشر و التوزيع، تونس،ط1، 2011، ص 13.

لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب (إنجازه أو الإمساك عنه)، أو ما وفق على الأقل في جعل السامعين مهيئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة.»[1]

فتتضح الغاية من الحجاج في التأثير في المتلقي و محاولة التأثير عليه و استمالته إلى الإقناع بالدعوى التي توجه بها إليه.

أما ديكرو و أسكومبر فقد رأيا الحجاج بقولهما:« أن الحجاج يكون بتقديم المتكلم قولا ق1 (أو مجموعة أقوال) يقضي إلى التسليم بقول آخر ق2 (مجموعة أقوال أخرى)، إن ق1 يمثل حجة ينبغي أن تؤدي إلى ظهور ق2 و يكون ق2 هذا قولا صريحًا أو ضمنيًا و إذن فالحجاج عند أسكومبر و ديكرو إنجاز لعملين هما التصريح بالحجة من ناحية و عمل الاستنتاج من ناحية أخرى.»[2]

من خلال ما تقدم وما سبق ذكره يتضح أن الحجاج هي الطريقة التي يعرض من خلالها المرسل للحجج و الأدلة متوجها بها إلى المتلقي قصد إقناعه في موضوع أو قضية معينة ومحاولة استمالته إليها، ولهذا الأخير " المتلقي" الحق في القبول و التسليم أو المعارضة عليها.

ثانيا. الحجاج قديما و حديثا:

1)- الحجاج عند الغرب قديما:

تعتبر السفسطائية حركة فلسفية ظهرت في أثينا في القرن الخامس قبل الميلاد، و قد عرفت هذه الحركة بما يسمى بالبلاغة السفسطائية التي برزت وترعرعت في « زمن انتشر فيه الإلحاد و التشكيك في الآلهة و السخرية من عبادتها، و تمجيد الإبداع و الميل إلى كل ما هو جديد، وهذا الاعتقاد كان له تأثير واضح في الأبعاد الإيديولوجية لبلاغة

[1])- المرجع نفسه، ص 13.

[2])- الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية: عبد الله صولة، جامعة منوبة، تونس، ج1، 2001، ص 36.

السفسطائيين، حيث حررهم من القيود التي تعيق مجالاتهم و مناظراتهم و طرائق حجاجهم.»[1]

و عليه فإن الركود الفكري الذي عاشته اليونان في تلك الفترة أدى إلى ظهور هذه الطائفة التي عرف عن روادها الكفاءة اللغوية و الجدال و فن الإلقاء، فقد روجوا النزعة الفردية في خطاباتهم و» كانت السوفسطائية فاتحة للنزعة النفسانية في تاريخ التفكير الفلسفي حينما ربطت الحقيقة بالإنسان، و ميوله و طبائعه».[2]

فالدافع الرئيسي من ممارسة السفسطائيين للحجاج هو طابعهم البراغماتي للوصول إلى السلطة واستغلال حاجات الناس و هذا ما مهد الطريق لأفلاطون لنقد الخطابة السفسطائية فأسلوبهم يعتمد على المراوغة و المغالطة.

وممن برزوا في هذا المجال (الحجاج) نجد أرسطو الذي يعتبر الأب الحقيقي لعلم الخطابة، فإنجازاته لا تزال خاضعة إلى يومنا هذا للدراسة، فهي المنهل الذي شرب منه الباحثين في هذا المجال عربا كانوا أم غربا، ففي القرن الخامس قبل الميلاد شهدت أثينا ولادة المنطق الصوري و الجدل و البلاغة الإقناعية أو الخطابة.

فالخطابة التي جاء بها أرسطو منبثقة من النقد الذي وجهه إلى السفسطائيين الذين استغلوا تفشي الجهل و الركود الفكري لنشر مذهبهم القائم على السفسطة و المراوغة قصد تحقيق منافعهم الشخصية.

فقد قام أرسطو بوضع مقومات و أسس تقوم عليها الخطابة،« وتقتضي الممارسة الكلامية ثلاثة عناصر هي المتكلم و المخاطب و موضوع الكلام، ولعل أرسطو هو من الأوائل من استعمل هذه الصيغة غير أنه استعمل مقابلها المصطلحات التالية الإيتوس و

[1])- البلاغة السوفسطائية و فاتحة الحجاج: أحمد يوسف، ضمن كتاب الحجاج مفهومه و مجالاته، تقديم حافظ إسماعيل علوي، ج1، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط1، 2010، ص 07.

[2])- المرجع نفسه، ص 11.

الباتوس و اللوغوس»[1] ، فالإيتوس يتعلق بالخطيب من خلال إلقائه الخطبة و اتصافه بالصفات الأخلاقية الحسنة التي من شأنها أن تقنع المخاطب، أما الباتوس فهو يمثل ميولات المتلقي، أما اللوغوس فيمثل موضوع الخطاب.

و قد حرص أرسطو على جعل الحجاج « صادرا عن الحقيقة لا عن المحتمل و الظن و قاصدا إلى الفضيلة و الخير لا إلى تحقيق المآرب بسلطة القول»[2] كما كان السفسطائيون يفعلون، فالحجاج من منظور أرسطو ينطلق من مسلمات يقينية للوصول إلى الحقيقة بعكس السفسطائيون الذين اتخذوا من الحجاج وسيلة للوصول إلى السلطة و تحقيق مقاصدهم الشخصية.

2)- الحجاج عند الغرب المحدثين:

ظهر توجه الحجاجيات اللسانية من أصلين معرفيين اثنين بحيث مثل للتيار الأول «بالنزعة التداولية في اللغويات المعاصرة التي جاءت معبرة عن حدود المقاربات الصورية الصارمة للظاهرة اللغوية،و الثاني تمثله أعمال الخطابة الجديدة مع رائديها بيرلمان و تيتيكا، فقد مثلت الحجاجيات اللسانية مجاوزة لكثير من الأفكار التي تبلورت في إطارهما لتتمكن بفضل ذلك من رسم معالم دقيقة لدرس جديد مستقل بموضوعه، درس ينطوي على نظري يخرجه من دائرة النظريات الفلسفية في اللغة ليلحقه بالممارسة العلمية اللسانية.»[3]

لقد حاول الباحثين المعاصرين أمثال بيرلمان و تيتيكا إخراج الحجاج من دائرة الخطابة والجدل، فيتجلى موضوع الحجاج بقولهما: « موضوع الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي

---

[1])- محمد الولي: مدخل إلى الحجاج " أفلاطون و أرسطو و شاييم بيرلمان، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت، العدد 2، م 40، أكتوبر، ديسمبر 2011، ص 12.

[2])- أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، جامعة منوية، تونس، 1998، ص 78.

[3])- الحجاجيات اللسانية و المنهجية البنوية: رشيد الراضي، ضمن كتاب الحجاج مفهومه و مجالاته، ج2، ص 79.

من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم».[1]

فهما إذن يوضحان أن دراسة تقنيات الخطاب من شأنها أن تثير الإذعان و القبول لدى المتلقي و هذه هي غاية الحجاج حيث يقولان أيضا « غاية كل حجاج أن يجعل العقول تذعن لما يطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان، فأنجع الحجاج ما وفق في جعل حدة الإذعان تفوق درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب، أو هو ما وفق غلى الأقل في جعل السامعين مهيئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة.»[2]

فالحجاج عند هذين المؤلفين (بيرلمان و تيتيكا) هو علم قائم بذاته له موضوعه و آلياته.

الحجاج عند ديكرو و أسكومبر:

اكتسى الحجاج عند كل من ديكرو و أسكومبر حلة لغوية بحتة حيث يريان أن الحجاج « يقوم على اللغة بالأساس بل يكمن فيها، بينما عرف بيرلمان الحجاج باعتباره مجموعة أساليب و تقنيات في الخطاب تكون شبه منطقية أو شكلية أو رياضية.»[3]

و في نظرهما فإن ترابط الأقوال لا يستند إلى قواعد الاستدلال المنطقي و إنما على ترابط حجاجي بحيث يتجلى « موضوع الحجاج في اللغة هو بيان ما يتضمنه القول من قوة حجاجية تمثل مكونا أساسيا لا ينفصل عن معناه يجعل المتكلم في اللحظة التي يتكلم فيها، يوجه قوله و جهة حجاجية ما.»[4]

و قد حصر ديكرو و أسكومبر الحجاج في آليات تمكن من خلالها ضبط العملية الحجاجية و التي تمثلت في السلالم الحجاجية بصفتها علاقة ترتيب للحجاج ثم الروابط

---

[1])- أهم نظريات الحجاج في التقاليد العربية: إشراف حمادي صمود، ص 299.

[2])- المرجع نفسه، ص 299.

[3])- الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني الهجري بنيته و أساليبه: سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث،اربد، الأردن، 2011، ص 20.

[4])- أهم نظريات الحجاج، ص 252.

الحجاجية و العوامل الحجاجية التي تضفي و تحقق انسجام في الخطاب و توجيه المستمع إلى ما يريده المتكلم.

3)- الحجاج عند العرب قديما:

لا يعتبر الحجاج بالمصطلح الجديد أو الغريب عند العرب، فالدراسات العربية القديمة تحمل إشارات واضحة ومفصلة لمفهوم الحجاج، وما و صلنا من نثر و شعر جاهلي دليل على استعمال العرب للحجاج في خطاباتهم التي اتسمت بالفصاحة والبلاغة و خير دليل على ذلك، نجد قصيدة زهير بن أبي سلمى التي أخمد بها حربا دامت قرابة لأربعين سنة بين " عبس" و " ذبيان".

و نجد أن « إستراتيجية الإقناع بالحجاج واضحة في القرآن الكريم و أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم»[1] باعتبار أن القرآن الكريم جاء بحجج إلهية تعدت بقوتها كل الحجج، و ذلك باحتوائها جميع الأساليب الحجاجية، كيف لا، وهو كلام الله المحكم في بناءه و المعجز في لفظه و الممتد عبر الزمان و المكان.

وتتجلى جهود العرب القدامى في هذا المجال من خلال انجازاتهم و نجد مثلا: كتاب المنهاج في ترتيب الحجاج لأبي الوليد الباجي الذي له السبق في التصنيف في هذا المجال من خلال كتابه هذا، الذي جمع فيه آراء المذاهب الكبرى كالمالكية و الحنبلية و الشافعية والحنفية في قالب جدلي واحد، فقد عرج إلى التفصيل في مجرى الخطاب بقوله «و الجدل: تردد الكلام بين اثنين، قصد كل واحد منهما تصحيح قوله و إبطال قول صاحبه، و النظر و الاستدلال: تفكر الناظر في حال المنظور فيه طلبا للعلم، بما هو ناظر فيه (...)، و الدليل ما صح أن يرشد إلى المطلوب، و هو الحجة و البرهان و السلطان، و الدلالة هو الدليل».[2]

---

[1])- استراتيجيات الخطاب: عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص 447.

[2])- المنهاج في ترتيب الحجاج: أبو الوليد الباجي، تحقيق هبد المجيد تركي، دار العرب الإسلامي، بيروت، ط3، 2001، ص 11.

فنلاحظ من خلال هذا القول أن الوليد الباجي قدم تعريفا لكل من الجدل و الاستدلال و الدليل، حيث قال أن الجدل يكون بين شخصين، فالأول ينازع الثاني إقناعه برأيه في قضية معينة، أما الاستدلال فهو استغلال المعطيات طلبا للعلم في قضية ما، أما الدليل و هو البرهان فهو القول الذي يدل على صحة شيء ما، فهو الحجة و البينة على صدق قضية ما.

و من البلاغيين القدامى الذين تطرقوا إلى موضوع الحجاج نجد عبد القاهر الجرجاني من خلال زبدة أعماله و هي:"دلائل الإعجاز" و " أسرار البلاغة "، فهو أول من استخدام آليات حجاجية في وصفة للاستعارة « فقد أدخل مفهوم الإدعاء بمقتضياته التداولية الثلاثة: " التقرير و "التحقيق" و "التدليل".»[1]

و البلاغة عنده تتمحور في قوله: « واعلم أن غرضي في هذا الكلام الذي ابتدأته، و الأساس الذي وضعته، أن أتوصل إلى بيان أمر المعاني كيف تختلف وتتفق، ومن أين تجتمع وتفترق و أفصل أجناسها و أنواعها، و أبين أحوالها في كرم منصبها من العقل.»[2]

كما اهتم القدامى بالخطابة خاصة بعد تبلورها في عصر صدر الإسلام، وزمن الفتوحات، باعتبارها وسيلة اقناعية، و قد فصلوا بينها و بين البلاغة « فإننا في التراث العربي نجد هناك فرقا بينهما، فالبلاغة تعتبر أشمل و أعم من الخطابة و التي هي جنس من أجناس التواصل، إلا أن الخطابة كانت شديدة الارتباط بالشعر عند العرب و يمكننا بهذا الصدد الإدلاء بالملاحظات التالية:

- إن مفردة الخطابة في العربية مأخوذة من خطبة، أخطب، خطابه... و هي ذات موضوع و ذات وظيفة.

[1])- اللسان و الميزان:طه عبد الرحمن، ص 313.

[2])- أسرار البلاغة: عبد القادر الجرجاني، دار المنتدى، جدة، د ط، د ت، ص26.

- إن الخطابة: بما أنها من القول، فإن هذا القول له بناءه و أسلوبه و أهم ما يميز هذا الأسلوب الخطابي هو أنه إقناعي وبلاغي.»[1]

4)- الحجاج عند العرب المحدثين:

لم تقتصر جهود العرب القدامى في هذا المجال، بل هذا كله مهد للدراسات لغوية جديدة، فقد اهتم العرب المحدثين بالحجاج في الدرس البلاغي، و لقد ظهرت نخبة لا بأس بها من الدارسين العرب الذين أولوا عناية فائقة بالحجاج.

فمن هؤلاء الدارسين نجد: الدكتور طه عبد الرحمن من خلال كتابيه " في أصول الحوار وتجديد علم الكلام" و " اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي"، فقد عرف الحجاج بـ « أنه كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها بحسب القيمة التي تحملها.»[2]

فالحجاج هو كلام يتوجه به مرسل إلى متلق بغرض إفهامه قضية معينة و إقناعه بها.

كما قام بتحديد الفروق الجوهرية بين الحجاج و البرهان إذ يرى « أن الحجاج يجتمع فيه اعتباران اثنان لا يجتمعان البتة في البرهان، و هذا الاعتباران هما " اعتبار الواقع" و " اعتبار القيمة"، فإذا كان البرهان ينبني على مبدأ الاستدلال على حقائق الأشياء للعلم بها، فإن الحجاج ينبني على مبدأ الاستدلال على حقائق الأشياء مجتمعة إلى مقاصدها للعلم بالحقائق و العمل بالمقاصد.»[3] فالبرهان يتجرد و يتبعه تماما عن الذات الإنسانية في حين أن الحجاج أن يستلزم البعد الإنساني فيه، فلا معنى للحجاج إذا غاب المخاطب بحكم أنه ركن أساسي فيه.

---

[1])- الحجاج و الاستدلال الحجاجي: الحبيب أعراب، ضمن كتاب الحجاج مفهومه و مجالاته، ج3، ص 42.

[2])- اللسان و الميزان: طه عبد الرحمن، ص 231.

[3])- المرجع السابق، ص 230.

و من بين الذين لهم تجربة مميزة في الحجاج أيضا نجد محمد العمري الذي تناول الحجاج في بعده الإقناعي من خلال الخطابة، بحيث عرض عدة تعاريف للخطابة بقوله « الخطابة العربية بموضوعها ووظيفتها عرفت ببنائها و شكلها (ذهب أبو إسحاق إلى أن الخطابة عند العرب: الكلام المنثور المسموع)»[1]، فالخطابة إذن هي خطاب قائم على المشافهة وجب أن يتوفر فيه الخطيب الذي ينثر الكلام و المتلقي الذي يتلقى ذلك الكلام حسب المقام، ففي هذا الكتاب ركز محمد العمري على المقام في الخطابة، و لم يعتمد على دراسة بناءها فيقول « و قد يسهل القول أن الخطابة العربية هي خطابة منافرة و مفاخرة، ميالة إلى المدح و الهجاء، و لم تعتمد الحوار الهادف القائم على الحجة إلا في مناسبات معدودة، و لذلك ينتظر أن يكون عنصر الحجاج و البرهنة أضعف عناصر بناءها، غير أنه ينبغي أن ينظر إلى القضية حسب المقامات و الموضوعات المتناولة.»[2]

و من الجهود العربية التي تركت أثر في موضوع الحجاج نجد عبد الله صولة من خلال دراسته الحجاج في القرآن الكريم، و ذلك من خلال مؤلفة الموسوم ب" الحجاج في القرآن الكريم"، حيث يرى أن الخطاب القرآني خطاب حجاجي يرمي إلى الإقناع، يقتضي حضور المتلقي فيه حضورًا دائما، فالله عز وجل في تفاعل دائم مع العالمين.

ثالثا. أنواع الحجاج:

تعددت و تنوعت تصنيفات الحجاج بين الباحثين و الدارسين، و ذلك باختلاف المنطلقات و اختلاف مجالات الدراسة، و في هذه النقطة سنعرض لأهم هذه الأنواع التي هي:

[1])- في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري و تطبيقي: محمد العمري، إفريقيا الشرق، المغرب، ط 2، 2002، ص 18.

[2])-المرجع نفسه، ص 26.

1)- الحجاج التوجيهي:

يعرفه عبد الهادي بن ظافر الشهري في كتابه إستراتيجية الخطاب بأنه « إقامة الدليل على الدعوى بالبناء على فعل التوجيه الذي يختص به المستدل، علما بأن التوجيه هو هنا فعل إيصال المستدل لحجته إلى غيره، فقد ينشغل المستدل بأقواله من حيث إلقاؤه لها و لا ينشغل بنفس المقدار بتلقي المخاطب لها ورد فعله عليها، فنجده يولي أقصى عنايته إلى قصوده و أفعاله المصاحبة لأقواله الخاصة، غير أن قصر اهتمامه على هذه القصود و الأفعال الذاتية يفضي به إلى تناسي الجانب العلاقي من الاستدلال، هذا الجانب الذي يصله بالمخاطب و يجعل هذا الأخير متمتعا بحق الاعتراض.»[1]

فيفهم من هذا التعريف أن الحجاج التوجيهي هو خطاب يتوجه به المرسل إلى المرسل إليه بهدف إيصال إليه فكرة معينة أو إقناعه بشيء ما، إلا أن هذا الأخير أي المرسل لا يهتم بردود أفعال المرسل إليه و لا يولي لها أهمية، إنما الاهتمام منصب على نفسه فقط، و على طريقة إلقاء خطابه و إيصال حججه إلى المرسل إليه و بعبارة أخرى فهو (المرسل) يهتم بذاته فقط و يبعد ذات المرسل إليه، لذلك وصفه الشهري بأنه « أدنى مستوى الحجاج التقويمي.»[2]

2)- الحجاج التقويمي:

يقصد به الخطاب الذي يهدف إلى « إثبات الدعوى بالإسناد إلى قدرة المستدل على أن يجرد من نفسه ذاتا ثانية ينزلها منزلة المعترض على دعواه، فها هنا لا يكتفي المستدل بالنظر في فعل إلقاء الحجة إلى المخاطب، واقفا عند حدود ما يوجب عليه من ضوابط و ما يقتضيه من شرائط، بل يتعدى ذلك إلى النظر في فعل التلقي باعتباره هو نفسه أول متلق لما يلقي، فيبني أدلته أيضا على مقتضي ما يتعين على المستدل له أن يقوم به، مستبقا

[1])- إستراتيجية الخطاب: الهادي بن ظافر الشهري، ص 470.

[2])- المرجع نفسه، ص470.

استفساراته و اعتراضاته و مستحضرا مختلف الأجوبة عليها و مستكشفا إمكانات تقبلها و اقتناع المخاطب بها، وهكذا، فإن المستدل يتعاطى لتقويم دليله بإقامة حوار حقيقي بينه و بين نفسه، ومراعيا فيه كل مستلزماته التخاطبية من قيود تواصلية و حدود تعاملية، حتى كأن عين المستدل له في الاعتراض على نفسه.»[1]

و الذي يفهم من خلال هذا التعريف، أن الحجاج التقويمي يختلف عن الحجاج التوجيهي، فإذا كان هذا الأخير (التوجيهي) لا يقيم وزنا للمرسل إليه و لا يدرجه في حساباته الخطابية، فإن الحجاج التقويمي على عكس ذلك، إذ أنه يهتم بالذات المتلقية بالإضافة إلى ذاته، و الاهتمام بردود أفعال هذا الأخير، بما في ذلك الاعتراض على حججه.

3)- الحجاج البلاغي:

وهو الحجاج « الذي يتخذ من البلاغة مجالا له، و يتخذها آلية من الآليات الحجاجية، وذلك لاعتمادها الاستمالة و التأثير عن طريق الحجاج بالصورة البيانية و الأساليب الجمالية، أي إقناع المتلقي عن طريق إشباع فكرة و مشاعره معا، حتى يتقبل القضية أو الفعل موضوع الخطاب.»[2]

فقد أطلق عليه الحجاج البلاغي لأنه يستعين بالبلاغة و أساليبها أثناء الخطاب فالمتكلم يلجأ إلى البلاغة وعلومها التي تتكون منها و التي هي: علم البيان، علم البديع، علم المعاني، فيغرف من أساليبها الجمالية و صورها البيانية، و يستعين بها في إقناع المستمع و التأثير فيه.

---

[1])- المرجع السابق، ص 473.

[2])- هاجر مدقن : آليات تشكل الخطاب الحجاجي بين نظرية البيان و نظرية البرهان، مجلة الأثر، الجزائر، ع 05، 2005، ص 173.

4)- الحجاج بالسلطة:

يتجلى مضمون هذا النوع من الحجاج في قيام « واضع الحجاج باستغلال نصوص أو أقوال للاستشهاد، مأخوذة من كتب، أو لكتاب أو مختصين ذوي شهرة أو صيت كبير.»[1] و عليه فإن تلك النصوص و الأقوال ترخص له أن يعتلي بذلك على الطرف المخاطب، كونه على علم بمصدر و شرعية تلك النصوص، مثل الأنبياء و الرسل حين يحاجون في أقوامهم، فهم يعتمدون على ما آتاهم به ربهم من الحجج و الآيات و البينات، فهم بذلك يلجؤون إلى سلطة دينية.

5)- الحجاج بالقيم:

يعتمد هذا النوع من الحجاج على قيم أخلاقية سامية بحيث:« يقوم واضع الحجاج باستحضار قيم تتلاءم مع ما هو جميل أو خير بالنسبة إلى مجتمع معين، كالحق و العدالة و الحرية.»[2]

فالمرسل يعتمد على قيم و أخلاق فاضلة يتوجه بها إلى المتلقي قصد التأثير فيه و استمالته، فإذا تعارضت قيم مجتمع معين مع ما هو جميل و تفشت فيه آفات اجتماعية و انحلال أخلاقي، صار تذكيرهم أو بالأحرى حجاجهم بعكس ما كانوا يفعلون، و نلاحظ أن الإمام يوم الجمعة يعتمد على هذا النوع من الحجاج، فإذا رأى ظاهرة معينة متفشية في المجتمع الذي يعيش فيه تراه يخصص درس يتكلم فيه عن تلك الظاهرة فيستحضر الآيات و الأحاديث التي تزجرهم عن ذلك، بالتالي يوصيهم بالتحلي بالأخلاق الفاضلة و الصفات الحسنة الحميدة، كذلك الأب الذي يربي ابنه تربية حميدة، فتراه يعلمه الآداب و كيفية التعامل مع الآخرين بالتي هي أحسن كالطاعة و توقير الكبير...الخ.

---

[1])- الحجاج في الفلسفة و في تدريسها: حميد اعبيدة، ضمن كتاب الحجاج مفهومه و مجالاته، ج3، ص 87.

[2])- المرجع نفسه، ص 87.

6)- الحجاج بالمغالطة:

قدم تعريف المغالطة على أنها « استدلال فاسد أو غير صالح، يبدوا وكأنه صحيح، لأنه مقنع سيكولوجيا، لا منطقيا، على الرغم مما به من غلط مقصود، و ذلك لاختفاء هذا الغلط وراء الغموض اللغوي أو الإثارة العاطفية، أو لعدم الانتباه إلى ما به مخالفة للقواعد المنطقية.»[1]

فالمغالطة بهذا المفهوم عبارة عن خداع و إبهام المخاطب قصد تضليل و إخفاء الحقيقة، فالمخاطب يعتمد على أساليب لغوية غامضة لا يمكن للمخاطب أن يدركها إلا بالتدقيق و التفتيش فيها، فالمغالطة وسيلة من بين الوسائل التي يعتمدها المرسل في إقناع المتلقي فكرة معينة أو تنبيه لقضية معينة.

رابعا. آليات الحجاج:

إن تنوع مجالات الحجاج و تعددها جعلته يحتوي على « تقنيات مخصوصة لا تختص بمجال من المجالات دون غيره، فهي مطواعة حسب استعمال المرسل لها، إذ يختار حججه و طريقة بنائها، بما يتناسب مع السياق الذي يحف بخطابه.»[2] فهذه التقنيات التي يدرجها المرسل ضمن خطابه لا تعتبر حججا، و إنما هي أدوات تقوم على تنظيم العلاقة بين الحجج المدرجة و النتيجة المقصودة بما يتوافق مع السياق.

و نجد كل من بيرلمان و تيتيكا يقسمان تقنيات الحجاج إلى فئتين:

تقنيات طرق الوصل، و تقنيات طرق الفصل، و يقصد بالأولى« ما يتم به فهم الخطط التي تقرب بين العناصر المتباعدة في الأصل لتمنح فرصة توحيدها من أجل تنظيمها، وكذلك تقويم كل منها بواسطة الأخرى سلبا أو إيجابا، و تقنيات الفصل التي تكون غايتها توزيع

---

[1])- اللسانيات و الحجج المغالط: نحو مقاربة لسانية وظيفية: حافظ إسماعيل علوي و محمد أسيداه، ضمن كتاب الحجاج مفهومه و مجالاته، ج3، ص 272.

[2])-استراتيجيات الخطاب: عبد الهادي ظافر الشهري، ص 477.

العناصر التي تعد كُلّا واحدا، أو على الأقل مجموعة متحدة ضمن بعض الأنظمة الفكرية، أو فصلها أو تفكيكها.»[1]

و عليه يتم تقسيم آليات الحجاج إلى ثلاثة أنواع و المتمثلة في:

- « الأدوات اللغوية الصرف مثل ألفاظ التعليل بما فيها الوصل السببي و التركيب الشرطي و كذلك الأفعال اللغوية.
- الآليات البلاغية مثل: تقسيم الكل إلى أجزاءه، و الاستعارة، و البديع و التمثيل.
- الآليات الشبه المنطقية يجسدها السلم الحجاجي بأدواته و آلياته اللغوية، و يندرج ضمنه الكثير من الأدوات اللغوية مثل الروابط الحجاجية.»[2]

1. الآليات اللغوية:

1.1. ألفاظ التعليل:

هي عبارة عن مجموعة من الأدوات التي يستخدمها المخاطب في خطابه قصد شرح و تفسير و جهة نظره أو حجته بالاستعانة بالمفعول لأجله، و كلمة السبب "و لأن": فالمفعول لأجله من ألفاظ التعليل، مهما يكن وجه وروده في الخطاب بوصفه المصدر الذي يدل على سبب ما قبله (أي بيان علته) و يشارك عامله في وقته و فاعله، و هو ثلاثة أقسام قياسية: مجرد من "أل"، و بالإضافة (...) و مضاف(...) و مقترن ب "أل".[3]

[1])- المرجع نفسه، ص 478.

[2])- المرجع نفسه، ص 477.

[3])- آليات الحجاج و أدواته: عبد الهادي بن ظافر الشهري، ضمن كتاب الحجاج مفهومه و مجالاته، ج1، ص 80.

كما أن اللفظة (لأن) لا تقل أهمية عن المفعول لأجله بالنظر لقيمتها و أهمية وجودها ضمن الخطاب، فقد« يبدأ بها خطاب الحجاج، و تستعمل لتبرير فعل، كما تستعمل لتبرير عدمه.»[1]

2.1. الوصف:

تصنف الصفة و اسم الفاعل و اسم المفعول ضمن الأدوات اللغوية المندرجة كلها في الوصف:« فالصفات تنهض بدور حجاجي يتمثل في كون الصفة إذ نخترها تجلو وجهة نظرنا و موقفنا من الموضوع، ويبدو هذا خاصة حين نجد صفتين متناظرتين لكنهما متعارضان.»[2]

كما أن اسم الفاعل يعد من الأدوات التي يحاجج بها المخاطب فهو « اسم مشتق، يدل على معنى مجرد، حادث و على فاعله، فلا بد أن يشتمل على أمرين معا، هما: المعنى المجرد الحادث وفاعله (...) و دلالة اسم الفاعل على المعنى المجرد الحادث أغلبية، لأنه قد يدل –قليلا– على المعنى الدائم أو شبه الدائم (...) و دلالة على ذلك المعنى المجرد مطلقة أي لا تفيد النص على أن المعنى قليل أو كثير.»[3]

أما اسم المفعول فهو كذلك من أساليب الوصف الحجاجية و هو« اسم مشتق يدل على معنى مجرد غير دائم، و على الذي وقع عليه هذا المعنى، فلا بد أن يدل على الأمرين معا.»[4]

فهذه كانت بعض الأمثلة عن الآليات اللغوية، و هناك آليات أخرى تساهم في العملية الحجاجية مثل الاستفهام بنوعيه المجازي و الحقيقي، الشرط، التوكيد والتكرار.

---

[1])– المرجع نفسه، ص 80.

[2])– الحجاج أطره ومنطلقاته: عبد الله صولة، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد العربية، ص 316.

[3])– استراتيجيات الخطاب، الهادي بن ظافر الشهري، ص 488.

[4])– المرجع السابق، ص 489.

2)- الآليات البلاغية:

تعتبر البلاغة أساس العلوم و أشرفها، يستعين بها المحاجج للتأثير في قلب و عقل المتلقي معا لاستمالته إلى التسليم بقضية معينة، و ذلك باستعمال الكثير من الأدوات البلاغية كالاستعارة و الكناية و المجاز و غيرها من الوسائل البلاغية التي تستخدم الحجاج و التي يستعملها المخاطِب قصد إقحام الآخر و تحقيق الإقناع.

2-1- الاستعارة:

تعرف الاستعارة أنها « إدعاء معنى الحقيقة في الشيء للمبالغة في التشبيه مع طرح ذكر المشتبه من البيتين كقولك: لقيت أسدًا و أنت تعني به الرجل الشجاع.»[1]

فالاستعارة عبارة عن مجاز يلجأ إليها المخاطب إذ رأى أن الألفاظ الحقيقية لا تخدم موقفه الحجاجي، لذلك فالألفاظ المجازية أبلغ من الألفاظ الحقيقية، فالاستعارة « تهدف إلى إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي للمتلقي.»[2]

فالاستعارة تعوض عن العجز اللغوي في التعبير عن الذات و تساهم في تحقيق الإقناع و الإذعان لدى المتلقي.

2-2- التشبيه:

يعرفه علماء البيان أنه « مشاركة أمر لأمر في معنى بأدوات معلومة»[3]، أي أن التشبيه هو » الدلالة على أن شيئا أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر بواسطة أداة من أدوات التشبيه.»[4]

---

[1])- محمد أحمد قاسم، محي الدين ذيب، علوم البلاغة (البديع و البيان و المعاني)، المؤسسة الحديثة للكتاب طرابلس، لبنان، ط1، 2003، ص 192.

[2])- الحجاج مفهومه و مجالاته: ظافر الشهري، ضمن كتاب الحجاج مفهومه و مجالاته ص 137.

[3])- جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع، أحمد الهاشمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط5، ص 156.

[4])- المرجع نفسه، ص 156.

فالتشبيه يعمل على إيضاح و بيان المعنى، فتشبيه شيء بشيء آخر يتطلب إخدام الفكر و الخيال معا لفهم ذلك المعنى و لهذا، فالتشبيه يعتبر كذلك آلية من الآليات الحجاجية البلاغية التي من شأنها أن تقنع المتلقي.

2-3- الكناية:

تعرف الكناية بأنها « لفظ أطلق و أريد به لازم معناه مع قرينة لا تمنع من إرادة المعنى الأصلي.»[1]

أي هي لفظ أطلقه المتكلم، و معناه الظاهري ظاهر واضح، و لكنه لم يقصد هذا المعنى الظاهر، إنما قصد معنى يلازمه.

فالكناية وسيلة من الوسائل الحجاجية التي تتسم بالإيجاز، فهي تحمل في طياتها تعبيرًا عن معنى ضخم وواسع في لفظ قليل، و لهذا نجد أن الكناية أدت دورها و نصيبها في تأدية المعاني في القرآن الكريم.

3)- الآليات شبه المنطقية:

3-1- السلالم الحجاجية:

تقدم السلالم الحجاجية على أنها « علاقة ترتيبية للحجج التي تنتمي إلى نفس السلم، لتخدم في الأخير نتيجة واحدة، بحيث تترتب هذه الحجج انطلاقا من الحجج الأكثر ضعفا إلى الحجج الأكثر قوة و التي نرمز لها بالشكل الآتي:

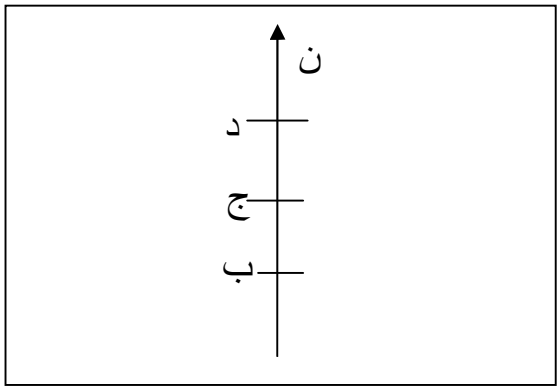

[1])- المرجع نفسه، ص 206.

ن = النتيجة.

"ب"و "ج" و "د" حجج و أدلة تخدم النتيجة "ن".[1]

و نجد طه عبد الرحمن يعرفها في كتابه اللسان و الميزان بقوله أنها « عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال، مزودة بعلاقة ترتيبية و موفية بالشرطين التاليين:

- كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه.
- كل قول كان في السلم دليلا على مدلول معين، كان ما يعلوه مرتبة، دليلا أقوى عليه.»[2]

فالشرط الأول يشترط أن تكون أقوى الأدلة التي تؤدي إلى النتيجة و تخدمها، و الشرط الثاني فيستلزم الترتيب المنطقي للحجج، من الحجة الأضعف إلى الحجة الأقوى أو الأكثر قوة، فهذا الترتيب يضمن الوصول إلى النتيجة و يمكن صياغة هذا كله في المثال الآتي:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾ سورة النصر.

تتضمن هذه السورة على حجج تنتمي كلها إلى نفس الفئة أو بالأحرى إلى سلم حجاجي واحد، فقال الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه و سلم آمرًا له أنه إذا جاء نصر الله و الفتح، أي وعده الله بالنصر القريب و فتح مكة، و هي بمثابة حجة أولى تخدم الحجة الثانية التي هي قوله تعالى " و رأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا" سورة النصر الآية(02)، ففي هذه الآية بشارة للنبي صلى الله عليه وسلم من الله أن الناس سيدخلون في الإسلام أفواجا وسيزداد عدد المسلمين، و هذه الحجة تخدم الحجة الثالثة بقوله تعالى: " فسبح بحمد ربك واستغفره" أي سبح الله واذكره كثيرًا على نعمة الفتح والنصر وعلى هداية

[1])- اللغة و الحجاج: أبو بكر العزاوي، الدار البيضاء، ط1، 2006، ص20.

[2])- اللسان و الميزان: طه عبد الرحمن، ص 277 . 278.

الناس للدخول في هذا الدين، فكل هذه الحجج تخدم النتيجة التي هي الوعد بنصر كامل من عند الله أو بفتح مكة و فيه بشارة بدخول خلائق كثيرة في الإسلام.

فيمكن التمثيل لهذا بالرسم الآتي:

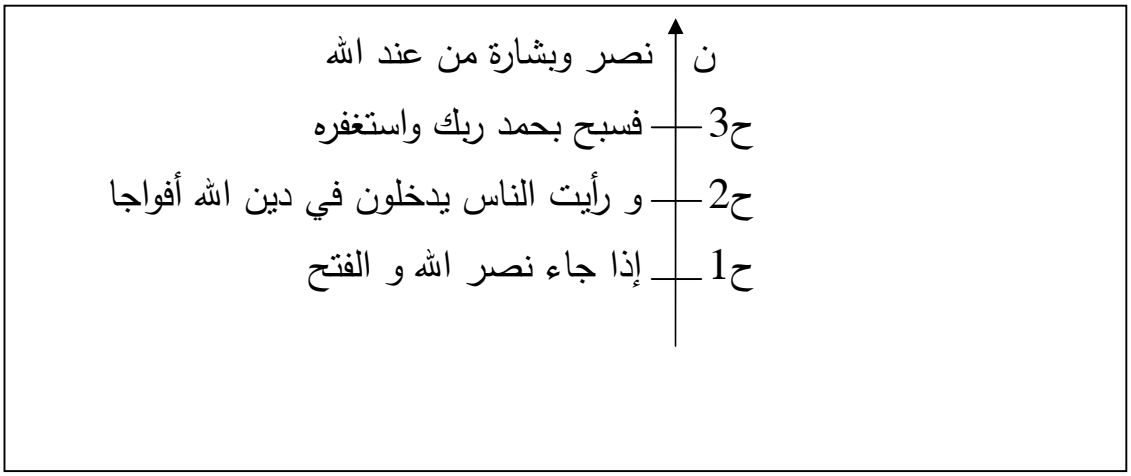

قوانين السلم الحجاجي:

يمتلك السلم الحجاجي جملة من القواعد و الضوابط التي من خلالها نتمكن من إدراك و فهم الفعل الحجاجي، و قد جمعت في ثلاث قوانين، و هي قانون الخفض، قانون النفي، و قانون القلب.

أ)- قانون الخفض:

يقدم هذا القانون على « أنه إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم فإن نقيضه يصدق في المراتب التي تقع فيها.»[1]

فإذا ثبت أن الكلام في مراتب معينة في السلم فإن نفي الحجج التي تقع أسفل السلم تكون صحيحة غير أنها لا تندرج في ذات السلم « فلا تندرج الأقوال الإثباتية (من نمط الجو بارد) و الأقوال المنفية (من نمط الجو ليس باردًا) في نفس الفئة الحجاجية و لا في نفس السلم الحجاجي.»[2]

[1])- المرجع السابق، ص 277.

[2])- اللغة و الحجاج: أبو بكر العزاوي، ص 24.

ب)- قانون النفي:

جاء في هذا القانون ما يلي: « إذا كان القول دليلا على مدلول معين، فإن نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله.»[1]

فإذا كانت الحجة تثبت نتيجة معينة فإن نقيض تلك الحجة يثبت كذلك نقيض تلك الحجة.

و يتجلى ذلك من خلال المثال الآتي:

- زيد مجتهد، لقد نجح في الامتحان.
- زيد ليس مجتهد، إنه لم ينجح في الامتحان.

ج)- قانون القلب:

يعتمد هذا القانون كذلك على النفي« فإذا كان أحد القولين أقوى من الآخر في التدليل على مدلول معين، فإن نقيض الثاني أقوى من نقيض الأول في التدليل على نقيض مدلوله.»[2] و بصيغة أخرى فإن « مفاد هذا القانون أن السلم الحجاجي للأقوال المنفية هو عكس سلم الأقوال الإثباتية.»[3] فإذا كانت الحجة الأقوى في السلم الإثباتي تكون في أعلى السلم، فإن الحجة الأقوى للأقوال المنفية تكون تلك الحجة التي كانت الأضعف في الإثبات.

3-2- الروابط و العوامل الحجاجية:

تزخر اللغة العربية بعدد كبير من الروابط و العوامل الحجاجية التي تساهم في تكوين الحجاج و المحافظة على ترتيب الحجج من أدنى السلم إلى أعلاه، أو من أعلاه إلى أسفله، و باعتبار أن لغة القرآن الكريم من أبلغ اللغات، فمفرداتها و تراكيبها غزيرة بالروابط و العوامل الحجاجية، التي جعلت من الخطاب القرآني خطابا معجزا للأقوام الغابرة و الأقوام

---

[1])- اللسان و الميزان، ص 278.

[2])- المرجع السابق، ص 278.

[3])- المرجع نفسه، ص 278.

اللاحقة، و عليه يجب الوقوف عند الروابط و العوامل الحجاجية و محاولة الفصل بينهما كونهما شيئان مختلفان.

3-2-1- العوامل الحجاجية:

تصنف العوامل الحجاجية على أنها «مورفيمات لا تربط بين متغيرات حجاجية (أي بين حجة و نتيجة أو بين مجموعة حجج) و لكنها تقوم بحصر و تقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما.»[1]

و تتمثل هذه العوامل في جملة من الأدوات مثل: ربما، كاد، كثيرًا، قليلًا، ما، إلا، تقريبا... و غيرها من الأدوات.

3-2-2- الروابط الحجاجية:

تعتبر هذه الروابط كذلك مورفيمات " تربط بين قولين أو جملتين على الأصح (أو أكثر)، و تسند لكل قول دورا محددا داخل الإستراتيجية الحجاجية العامة"[2]، أي أن الرابط يقوم بوظيفة الربط بين ملفوظين أو أكثر، و تتمثل هذه الروابط في الأدوات الآتية: بل، لكن، حتى، لاسيما، إذن، لأن، بما أن، إذ... الخ، و قد وصل أبو بكر العزاوي فيها و ميز بينهما على النحو التالي:

- الروابط المدرجة للحجج مثل: (حتى، بل، لكن، مع ذلك، لان...).
- الروابط المدرجة للنتائج مثل: (إذن، لهذا، بالتالي...).
- الروابط التي تدرج حججا قوية: (حتى، بل، لكن، لاسيما...).

[1])- اللغة و الحجاج: أبو بكر العزاوي، ص 27.

[2])- المرجع السابق، ص27.

خامسا. بنية الحجاج في سورة هود:

لما كان القرآن الكريم خطاب موجه إلى المتلقي بصدد التأثير و الإقناع، و إقامة الحجة على الناس، وذلك كونه خطابا يختلف عن الخطابات الأخرى فشرائعه و أحكامه صالحة في كل زمان ومكان، و قصصه حكاها على سبيل التدبر و الموعظة من حال الأمم السابقة لإعراضها عن أمر ربها، هذا، فقد تعددت السور التي احتوت و اشتملت في مضمونها للقصص القرآني، حتى إنه يمكن القول أنه الغالب فيه و هذا ما يقتضيه الأمر، ومن بين هذه السور نجد سورة "**هود**" التي تضمنت خمس قصص و محاورات الأنبياء لأقوامهم كما سلف الذكر، فالطرف الأول (الأنبياء) يدعون أقوامهم إلى عبادة الله وحده، و اقتضى المقام بالضرورة الاستعانة بالحجج المتنوعة لإقناع و التأثير في الطرف الآخر (أقوامهم).

و لما كان الأمر هكذا، اخترنا دراسة الحجاج في هذا الموضع (سورة هود) من خلال النقاط المتمثلة في: أنواع الحجاج، العوامل و الروابط الحجاجية، إضافة إلى السلالم الحجاجية.

1)- أنواع الحجاج:

إن القرآن الكريم خطاب موجه إلى الناس بهدف الإقناع و التأثير و الاستمالة، لذا نجده يتوفر على عدد من الأنواع الحجاجية التي ساهمت بشكل أو بآخر في إيصال الأفكار، و إقامة الأنبياء و الرسل الحجة على أقوامهم أثناء دعوتهم إلى توحيد الله جلا و علا، ومن هذه الأنواع نجد:

أ)- الحجاج التقويمي:

لقد ذكرنا في الجزء النظري أن الحجاج التقويمي هو الحجاج الذي يكون فيه المرسل يدرج المتلقي في حساباته الخطابية، و يهتم بردود أفعاله التي من بينها الاعتراض على أقواله ورد حججه و عدم قبولها.

نجد هذا النوع من الحجاج في سورة هود، خاصة في المحاورات و المحادثات التي جرت بين الأنبياء و أقوامهم أثناء محاولتهم لدعوتهم إلى عبادة الله عز وجل. فالنبي – بصفة عامة – لما يتوجه إلى قومه يدعوهم إلى عبادة الله وحده، فهو يعرف أن قومه سيقابلون دعوته بالصد و الإعراض، و إن آمن معه و صدقه بعض قومه، فبالتأكيد أكثر قومه لا يصدقونه و لا يؤمنون به و بما يدعوهم إليه، فالنبي نوح عليه السلام كان يدعو قومه مدة 950 سنة إلى عبادة الله و مع ذلك لم يؤمن معه إلا قليل، فأمره الله عز و جل بصنع الفلك ليحمل فيها من كل زوجين اثنين، ليهلك المتكبرين المتجبرين المعاندين.

و مما يدل على ذلك أيضا، مجادلة الأنبياء لأقوامهم و إتيانهم بحجج كثيرة، قصد إقناعهم و اعتماد أساليب عديدة خاصة أسلوبي الترغيب و الترهيب قصد استمالتهم و التأثير فيهم للاستجابة لدعوتهم و تصديقهم، فنلاحظ من خلال التبادلات الكلامية و المساهمات التي جرت من كلا الطرفين كيف لنبي يأتي بحجج و قومه يعرضون عنها و يصدونها أو ينفونها، بالتالي هذه الأخيرة (الأقوام) تأتي بحجج و النبي ينفيها عن نفسه ويردها عليهم أو يعجزهم بحجج أخرى، أقوى وأبلغ، و لا بأس أن نمثل ببعض الآيات، فيتجلى ذلك في قوله تعالى على لسان نبيه نوح عليه السلام مخاطبا قومه: ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَنْ لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۖ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾﴾ هود الآية (25-26)، فيرد عليه قومه قائلين: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾ هود الآية 27.

وهكذا دواليك، فهذا ما نراه في كل التبادلات و التي جمعت الأنبياء مع أقوامهم.

ب)- الحجاج بالقيم:

يبنى هذا الحجاج من خلال اعتماد المرسِل بتذكير الطرف المحاجَج (المتلقي) بالقيم السياسية و الأخلاق الفاضلة و الصفات النبيلة، و القرآن الكريم واحد من بين الخطابات التي تتوافر على هذا النوع من الحجاج، فالقارئ له (القرآن) يجد أن الله عز وجل كثيرا ما يوصي الناس بالاتصاف بالأخلاق الحميدة مثل: الصدق و العدل و الإحسان... و بالتالي فهو ينهاهم بالاتصاف بالأخلاق السيئة الذميمة مثل: الغيبة و النميمة و الكذب و الجور و السرقة... الخ. و نجد هذا النوع في سورة هود خاصة، و ذلك عند حجاج الأنبياء لأقوامهم، فمن بين هؤلاء الأنبياء من يعتمد على هذا النوع، خاصة إن كان الخلق أو الصفة يتحلى بها ذلك القوم، و هذا ما نجده في قوم النبي شعيب الذين عرفوا بصفة ذميمة و المتمثلة في السرقة في الكيل و الميزان و سرقة الناس أشياءهم، قَالَ تَعَالَى:﴿وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾﴾ هود الآية 85. فقد أمرهم بإيفاء الكيل و الميزان بالقسط و العدل، و أن لا يبخسوا الناس أشياءهم ويسرقوها ظلما و عدوا، فذكرهم بحالهم وما منَّ الله عليهم من الخيرات، فهم بخير و ليسوا بحاجة إلى التطفيف في المكيال و الميزان و سرقة الناس أشياءهم.

كما نرصد هذا النوع في التبادل الكلامي الذي جمع بين النبي لوط عليه السلام و قومه حيث نهاهم للكف عما كانوا يعملون قَالَ تَعَالَى:﴿قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ هود الآية 87

و من خلال هذه الآية نرى الإعجاز اللفظي للقرآن الكريم و كيف صور قوم النبي لوط قبل أن يأتوا إليه، فقد أخبرنا و أطلعنا أنهم كانوا يعملون السيئات، فلما علموا بضيوف النبي لوط عليه السلام أتو إليه مسرعين، فنهاهم عما كانوا يعملون.

ج)- الحجاج البلاغي:

امتاز الخطاب القرآني بطابع حجاجي مميز، ذلك كونه موجه إلى المتلقي بهدف الإقناع و التأثير، فقد جاء ليحاجج قوما امتازوا بالفصاحة و البلاغة، و على الرغم من تمكن عرب قريش في البلاغة، إلا أنهم لم يجدوا أبلغ من هذا الكلام، و قد تحداهم على أن يأتوا بعشر سور من مثله إن استطاعوا، فقد احتوى الخطاب القرآني في تراكيبه على جميع علوم البلاغة المعروفة كعلم المعاني و علم البيان و علم البديع، هذا ما أكسبه قوة حجاجية تؤثر في عقل و قلب المخاطب و التي تجبر على الإذعان و التسليم لهذا الكلام المعجز في لفظه و معناه، و عليه سنتطرق إلى ذكر بعض الأساليب البلاغية التي وردت في سورة هود من تشبيه و استعارة وكناية.

❖ التشبيه:

يعرف التشبيه على أنه « إلحاق أمر بأمر في وصف بأداة لغرض، و الأمر الأول سمي بمشبه، و الثاني بالمشبه به و الوصف وجه الشبه و الأداة الكاف أو نحوها»[1] فمن بين الآيات التي نجد فيها التشبيه في السورة نجد قوله تعالى قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۢبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ هود الآية 23.

في هذه الآية مثلا صور لنا الله عز وجل حال المشركين الذين أعرضوا عن آياته فكانت حياتهم ضنكا مثل الأعمى و الأصم اللذان حرما من رؤية جمال ما خلق و صور الله عز وجل، كما صور لنا أيضا حال المؤمنين كونهم مهتدون « إذ الاهتداء يحصل بمجموع الصفتين.»[2]

---

[1])- شرح البلاغة من كتاب قواعد اللغة العربية: محمد بن صالح العثيمين، الرياض، ط1، 1434هـ،ص 22.

[2])- التحرير و التنوير، ج12، ص 42.

فقد شبه إذن « حال فريق الكفار في عدم الانتفاع بالنظر في دلائل وحدانية الله الواضحة من مخلوقاته بحال الأعمى، وشبهوا في عدم الانتفاع بأدلة القرآن بحال من هو أصم، وشبه فريق المؤمنين في ضد ذلك بحال من كان سليم البصر سليم السمع، فهو في هدى و يقين من مدركاته.»[1]

كما نجد التشبيه في قوله تعالى قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ هود الآية 42، لقد تضمنت الآية الكريمة تشبيها قويا صور لنا عظمة و هول الطوفان الذي أغرق به الله عز وجل قوم النبي نوح، فقد شبه الموج بالجبال في الضخامة و العلو.

❖ الاستعارة:

عرفت الاستعارة على أنها « مجاز علاقته المشابهة»[2] فالاستعارة هي توظيف لفظ في معنى غير ذلك اللفظ أي استعماله في غير معناه الحقيقي لوجود علاقة مشابهة بين المعنى الحقيقي و المعنى المجازي.

من الآيات التي تضمنت الاستعارة في تركيبها قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي﴾ هود الآية 44.

في هذه الآية أسلوب نداء بحيث خاطب الله عز وجل الأرض و السماء « كما يخاطب العاقل بعمل يعمله فيقبله امتثالا و خشية، فالاستعارة هنا في حرف النداء.»[3]

كما أن الاستعارة الأخرى تكمن في بلع الماء « و البلع حقيقة اجتياز الطعام و الشراب إلى الحلق دون استقرار في الفم»[4]، فكذلك حصل حين أمر الله عز وجل الأرض أن تبلع الماء في باطنها، فقد شبه الأرض بالإنسان في الخطاب و البلع وحذف المشبه به (الإنسان

[1]- المرجع نفسه،ج12، ص 41.

[2]- شرح البلاغة من كتاب اللغة العربية، ص 268.

[3]- التحرير و التنوير، ج 12، ص 78.

[4]- المرجع نفسه، ص 78.

العاقل) وجاء بقرينة لفظية تعود عليه و هي حرف النداء "يا" و الفعل "أبلعي" و "أقلعي" على سبيل الاستعارة المكنية.

❖ الكناية:

الكناية عبارة عن « كلمة أو جملة تدل على معنى مراد، ملازم لها، أو هي لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة ذلك المعنى.»[1]

فالكناية هي تلميح إلى المعنى من خلال مخاطبة ذكاء المتلقي و استدراجه إلى فهم تلك الإيماءات.

لقد وردت الكناية في سورة هود، و نجدها من خلال قوله تعالى:﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ﴾ هود الآية (40).

فالتركيب " فار التنور" كناية عن اشتداد الحال و بلوغ الشيء إلى أقصى ما يتحمل مثله، فمعنى كلمة فار هو « غليان القدر، و يطلق على أنبع ماء أما التنور فهو الموقد الذي ينضج فيه الخبز.»[2]

كما نلتمسها في قوله تعالى:﴿إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ﴾

هود الآية81، فقد تضمنت هذه الآية في مضمونها على كناية تمثلت في العذاب القريب الذي أهلك الله به قوم النبي لوط حين جعل عالي تلك القرية سافلها.

❖ المجاز:

ينقسم المجاز إلى نوعين أساسيين و هما المجاز العقلي و المجاز المرسل، فالمجاز العقلي هو « استعمال جملة مكان جملة»[3]. نفهم من سياق الكلام على أنها مجاز عقلي أو

---

[1])- شرح البلاغة من كتاب قواعد اللغة العربية، ص 314.

[2])- التحرير و التنوير، ص 70.

[3])- شرح البلاغة من كتاب قواعد اللغة العربية، ص 302.

مركب، أما المجاز المرسل فهو « مجاز علاقته غير المشابهة و يكون الجامع بينه و بين المعنى الحقيقي أو الصلة التي بينه و بين المعنى الحقيقي غير المشابهة.»[1] فالمجاز المرسل هو توظيف لفظ لزيادة في المعنى لوجود علاقة بينهما.

يتجلى المجاز المرسل في قوله ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ هود الآية 102.

فقد تمثل المجاز المرسل من خلال التركيب "أخذ القرى"، و العلاقة هنا محلية، حيث أنه قصد بأهل القرى الذين يسكنون تلك القرى.

هذا فإن العلوم البلاغية مرتبطة تمام الارتباط بالحجاج، كون الحجاج يصبو إلى إثبات رأي أو وجهة نظر معينة من خلال التأثير و استمالة المتلقي، و لكي يتحقق هذا التأثير و الاستمالة لا بد من إدراج الآليات التي تطرقنا إليها سابقا.

فهي تساهم في جذب تفكير المخاطب و التأثير في أحاسيسه و عواطفه، لأنها تتميز بقوة تأثيرية حجاجية، و هذه هي الغاية التي يريد المرسل بلوغها و تحقيقها و رؤية أثرها في المتلقي، و ما ينجر عن هذا الأخير (المتلقي) من قبول الدعوة و الإذعان لها، و عليه فقد جاء القرآن الكريم بأسلوب لا يكاد يخلو من الأساليب البلاغية لأنه بصدد إقامة الحجة على الطرف المتلقي.

2)- الروابط و العوامل الحجاجية:

تعددت الروابط و العوامل الحجاجية في القرآن الكريم كونه خطابا حجاجيا بالدرجة الأولى، فهو بصدد عرض حجاج و مجادلة الأقوام الظالمة لأنفسهم و الأنبياء و الرسل الذين حملوا رسالة الله عز وجل، ففي "سورة هود" نلتمس عدة مجادلات الأنبياء لأقوامهم، كمجادلة النبي نوح عليه السلام و قومه، و النبي هود عليه السلام وقومه، وغيرهم من الرسل، و الملاحظ من هذا الجدال أنه امتاز بسبك و نظم محكم لاحتوائه على مجموعة من

[1])- المرجع نفسه، ص 291.

الروابط و العوامل التي صورت لنا طبيعة ذلك الحجاج، لذا، سنتطرق إلى ذكر بعض هذه الروابط و العوامل في "**سورة هود**".

أ)- الروابط الحجاجية في سورة هود:

➢ الرابط الواو:

يعد الواو من بين الروابط الحجاجية التي استعملت بكثرة في سورة هود، و ذلك بهدف الربط بين قولين أو حجتين أو أكثر، أو الربط بين الجمل التي اشتركت في مناسبة واحدة و التي تمثلت في الدعوة إلى عبادة الله عز وجل و رفض القوم لتلك الدعوة.

وقد عرف الوصل على أنه « عطف جملة على جملة أخرى بالواو... إذا اتفقت الجملتان خبرًا أو إنشاء و كانت بينهما جهة جامعة أي مناسبة تامة.»[1]

و نلتمس هذا الرابط في قوله تعالى ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾ هود الآية (27).

ففي هذه الآية ثلاث حجج اتخذها قوم نوح ليبطلوا ما جاء به، وعليه نجدها كلها معطوفة بحرف الواو فقد « وصفوهم بذلك لفقرهم جهلا منهم واعتقادا منهم بأن الشرف يكون بالمال و الجاه (...) فأرادوا أن يحاجوا نوحا من وجهين: أحدهما أن المتبعين له أراذل القوم ليسوا قدوة ولا أسوة، والثاني: أنهم مع ذلك لم يتروّوا في إتباعه و لا أمعنوا الفكر في صحة ما جاء به، و إنما بادروا إلى ذلك من غير فكرة و لا روية، و غرضهم أن لا تقوم الحجة عليهم.»[2]

---

[1])- شرح البلاغة من كتاب قواعد اللغة العربية: محمد بن صالح العثيمين، ص 181.

[2])- صفوة التفاسير: الصابوني، ج2، ص 13.

ثم يرد عليهم النبي نوح عليه السلام مفندا ما كانوا يزعمون، قال تعالى على لسانه: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ٢٨ وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ٢٩ ﴾ هود الآيتان (28- 29).

فقد اشتملت هذه الآية على مجموعة من الحجج التي استعان بها النبي نوح عليه السلام ليبطل دعوى قومه، و نلاحظ كيف لعب الرابط الحجاجي الواو في الربط بين هذه الحجج فجاءت متسلسلة مرتبة و متدرجة.

- **الرابط "بل":**

يعد الرابط "بل" من الروابط التي « تقيم علاقة حجاجية مركبة من علاقتين حجاجيتين فرعيتين تسيران في اتجاه النتيجة المضادة، أي بين الحجة القوية التي تأتي بعد (بل) و النتيجة المضادة للنتيجة السابقة.»[1]

لقد ورد هذا الرابط في السورة في قوله تعالى: " و ما نرى لكم علينا من فضل" بل نظنكم كاذبين"، فيفيد « إبطال للمنفي كله الدال على صدقه في دعواه بإثبات هذا النفي.»[2]

فقوم نوح تدرجوا في تقديم حججهم انطلاقا من استصغارهم للذين اتبعوه كونهم من فقراء و أراذل القوم، ثم إنكارهم لفضل النبي نوح عليهم، وبعدها جاءت الحجة الأقوى و التي وقعت بعد "بل" و التي أظهرت إصرارهم على تكذيب النبي نوح عليه السلام بما جاء به.

- **الرابط "ثم":**

يعد "ثم " من الروابط الحجاجية كذلك، فهو يقوم على « أساس الترتيب و التراخي بمعنى أن الثاني يأتي بعد الأول بفترة زمنية معينة، بحيث يجب أن يقع المعطوف بعد المعطوف عليه بعد انقضاء مدة زمنية بينهما.»[1]

---

[1])- اللغة و الحجاج: أبو بكر العزاوي، ص 63.

[2])- التحرير و التنوير: ج 12، ص 49.

يتجلى هذا الرابط الحجاجي في قوله تعالى ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ﴾ هود الآية (52). و في قوله:﴿وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ هود الآية (60).

لقد جاء الرابط الحجاجي " ثم" في هاتين الآيتين الكريمتين ليبين « فرضية المهلة الزمنية بين الاستغفار و التوبة، و الترتيب و التراخي بطول مدة الاستغفار بالتوبة و العمل، لأن التراخي يفضي إلى تباين المنزلتين، إذ لا تصلون إلى التوبة إلا بطول مدة استغفاركم.»[2]

و يتجلى الرابط الحجاجي "ثم" أيضا في قوله تعالى ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾﴾ هود الآيات (54 و 55).

في هذه الآية جاء الرابط الحجاجي " ثم" كذلك « للتراخي الرتبي أين تحداهم بأن يكيدوه ثم ارتقى في رتبة التعجيز و الاحتقار فنهاهم عن التأخير بكيدهم إياه، و ذلك نهاية الاستخفاف بأصنامهم و بهم، وكناية عن كونهم لا يصلون إلى ذلك.»[3]

---

[1])- ينظر: مثنى كاظم صادق: أسلوبية الحجاج التداولي و البلاغي" تنظير و تطبيق على السور المكية"، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2015، ص 90.

[2])- ينظر: المرجع السابق ص 92.

[3])- التحرير و التنوير: جزء 12، ص 100.

ب)- العوامل الحجاجية:

➢ العامل الحجاجي (ما... إلا/ لا... إلا):

من التراكيب التي تترتب عنها الحجج حسب درجتها الحجاجية، ذلك التركيب الذي يتضمن الأداتين (ما ... إلا) في ترتيب الحجج في سلم واحد، إذ أن (ما... إلا) عامل يوجه القول وجهة واحدة نحو الانخفاض و هذا ما يستثمره المرسل عادة لإقناع المرسل إليه.[1]

نلمس هذا العامل في السورة في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾ هود الآية (27).

في هذه الآية الكريمة أسلوب حصر أو ما يعرف كذلك القصر، ففي قولهم "ما نراك إلا بشرا مثلنا" هنا خصص قوم النبي نوح شيء بشيء آخر فالمخصوص هو نوح "نراك" الكاف تعود على النبي نوح و المخصوص فيه " بشرًا"، و تأويل قولهم هو كيف نؤمن لك و أنت بشر مثلنا ثم هناك حصر آخر في قوله تعالى: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ﴾ ، ففي هذا الموضوع كذلك حصر قوم النبي نوح و اقتصار الإيمان برسالته على ضعفاء و أراذل القوم، فالنفي و الاستثناء بـ "ما" و "إلا" يعتبر عاملا حجاجيا مهما بما يقصر من الشيء على الشيء الآخر في بنية النص، فهذا العامل صورة من صور تقييد الفكرة المطروحة لكي يجعل المتلقي يلتفت إليها لعله يذعن.[2]

ففي هذه الآية الكريمة جاء الحصر ليقدم نتيجة واحدة سواء كانت إنكار القوم لما جاء به النبي نوح أو محاولة إقناع ذلك القوم من خلال ما جاء على لسان النبي نوح قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ هود (29)، فهنا كذلك جاء الرد على قوم النبي نوح بحصر (نفي و استثناء) لأنه يقوم بتضخيم المعنى و الإسراع بالوصول إلى النتيجة.

---

[1])- استراتيجيات الخطاب، ص 519- 520.

[2])- مثنى كاظم الصادق: أسلوبية الحجاج التداولي البلاغي، ص 108- 109.

➢ **العامل الحجاجي "إنما":**

تعد "إنما" من العوامل الحجاجية التي تفيد القصر و هي في معنى (ما...إلا)، و قد ورد هذا العامل في السورة من خلال قوله تعالى: " قال إنما يأتيكم به الله إن شاء و ما أنتم بمعجزين ". حيث أخبرهم النبي نوح أن إتيانهم بالعذاب مقتصر على الله عز وجل و ليس أحد غيره فأمرهم بين يديه يفعل ما يشاء.

كما يتجلى هذا العامل الحجاجي في قوله تعالى مخاطبا نبيّه محمد صلى الله عليه و سلم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ هود الآية (12)، أي " أنت نذير لا موكل بإيقاع الإيمان في قلوبهم إذ ليس إليك بل هو الله."[1] فالرسول صلى الله عليه و سلم منذر و مبلغ رسالة الله عز وجل إلى العالمين، لا إجبار الناس على الإيمان بالله عنوة، لذا جاء العامل الحجاجي "إنما" ليزيد في القوة الحجاجية للفظة نذير التي جاءت بعدها.

3)- السلالم الحجاجية:

يقوم المرسل أثناء عملية التواصل بتنظيم و ترتيب حججه التي يتوجه بها إلى المتلقي قصد التأثير فيه و إقناعه و جعله يذعن لرأيه، فيبدأ بالحجة الضعيفة إلى القوية قصد الوصول إلى الغاية المنشودة.

لهذا فالسلم الحجاجي يقوم على مبدأ التدرج فبواسطته نقوم بترتيب الحجج التي تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة و التي استعان بها المرسل لإقناع المتلقي. و نحن في هذا المقام، سنقوم بالتعرض إلى بعض النماذج و الوقوف على بعض الأمثلة التي تضمنت حججا يمكن دراستها و تمثيلها ضمن سلم حجاجي، وذلك كله من خلال التبادلات الكلامية و التواصلية التي حدثت بين الأنبياء و أقوامهم.

[1])- التحرير و التنوير:ص 18.

و من بين هذه النماذج **التبادل الذي جمع بين النبي نوح وقومه**، فلما أرسل الله عز وجل نبيه نوحا عليه السلام إلى قومه يدعوهم إلى عبادة الله عز وجل، فاعترض عليه قومه و لم يستجيبوا له و كذبوه، و استعانوا على ذلك على حجج متباينة متفاوتة، و ذلك جلي في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾ هود الآية 27.

و يمكن التمثيل لهذه الحجج كما يلي:

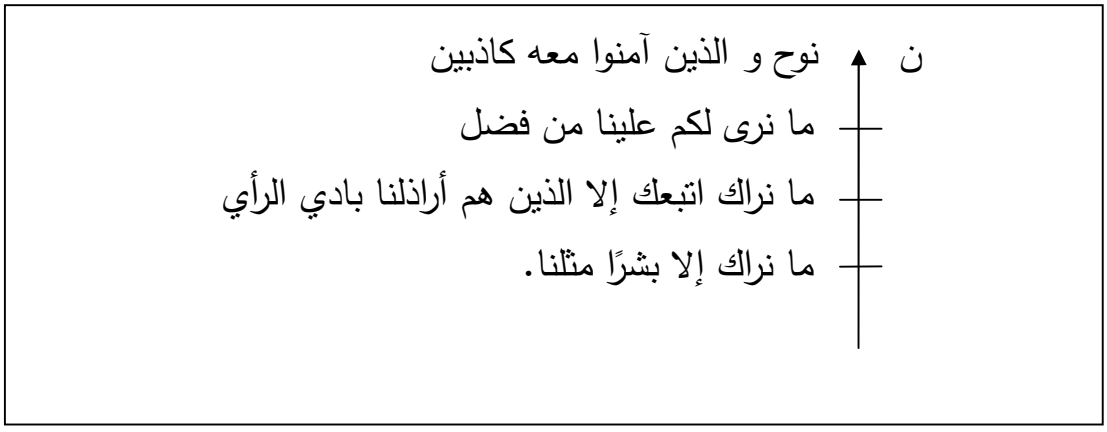

فقد انطلقوا من مجموعة من الحجج تفضي إلى نتيجة واحدة و هي بيان أن النبي نوح عليه السلام و الذين أمنوا به و اتبعوه كاذبين، فنلاحظ أنهم انطلقوا من الحجة الضعيفة إلى الحجة الأقوى، فقالوا كيف نتبعك و نؤمن بما جئت به و أنت لست إلا بشرًا مثلنا تأكل الطعام و تشرب و تمشي في الأسواق، ثم إن الذين اتبعوك هم أراذل قومنا و فقرائهم و ضعفاؤهم ليس لهم حول و لا قوة، ليس لهم رأي و لا مكانة ولا منزلة، وليس عليكم أي فضل أو مِنَّة، فنلاحظ أثناء سردهم لحججهم اعتمدوا على الحرف "ما" الذي يقتضي النفي، فنلاحظ تكراره في كل حجة يقدمونها « ليجزموا بتكذيبه فقدموا لذلك مقدمات استخلصوا منها تكذيبه.»[1]

[1])- التحرير و التنوير: ج 12، ص 46.

و ليفند نوح عليه السلام حججهم و شبهاتهم نراه قد « سلك في مجادلتهم مسلك إجمال ثم مسلك تفصيل لِرَد أقوالهم.»[1]

فأما مسلك الإجمال فيتضح من خلال قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾ سورة هود الآية 28.

أي « أرأيتم إن هداني الله و أضلكم أأجبركم على الهدى و أنتم له كارهون.»[2]

فيمكن التمثيل لهذا التدرج كما يلي:

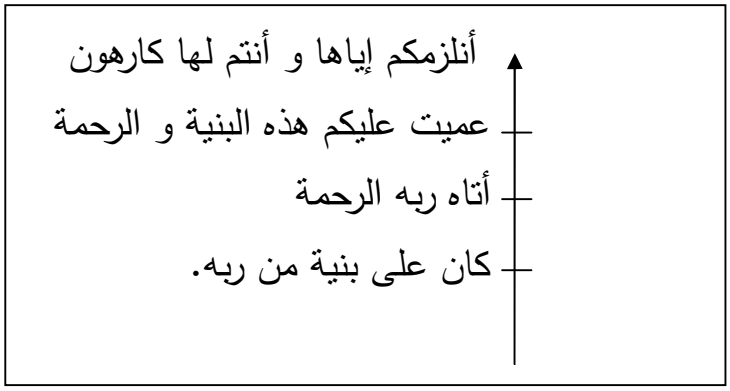

فنلاحظ أنه بدأ بإظهار نعم الله عليه و بما اصطفاه به من بين عباده، و ذلك أن الله مَنّ عليه بالنبوة و الرسالة و شرفه الله بهما دون غيره، و قومه لا يستطيعون رؤية هذه النعمة و البينة التي آتاهم بها على صدق نبوته و إعراضهم و تكبرهم و عدم قبولهم للحق، ليخلص إلى نتيجة أنه « إن كنت ذا برهان واضح، ومتصفا برحمة الله بالرسالة و الهدى فلم تظهر لكم الحجة و لا دلائل الهدى، فهل ألزمكم أنا و أتباعي بها، أي الإذعان إليها و التصديق بها إن كنتم تكرهون قبولها.»[3]

[1])- المرجع نفسه،ج 12، ص 50.

[2])- الجواهر الحسان في تفسير القرآن (تفسير الثعالبي) لعبد الرحمن الثعالبي، ج3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1997، ص 280.

[3])- التحرير و التنوير، ج 12، ص 51.

أما مسلك التفصيل فيتمثل في قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ سورة هود من الآية 29 إلى الآية 31.

يمكن التمثيل له كما يلي:

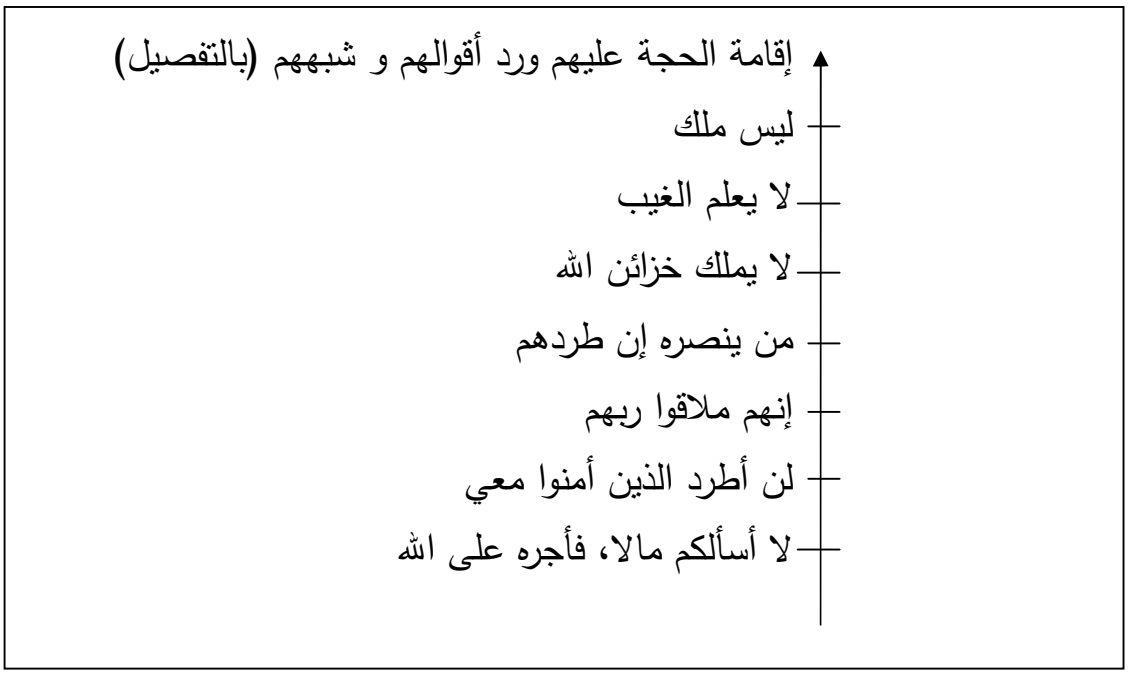

فالنبي نوح عليه السلام عندما رد على قومه بعبارة الإجمال السالفة الذكر، ها هو ينتقل للرد عليهم بعبارة التفصيل، فنفى عن نفسه كل قول و كل شبهة نسبها قومه إليه لوحدها للتأكيد على قومه إقامة الحجة عليهم.

النموذج الثاني يتمثل في التبادل الذي جمع بين النبي هود عليه السلام و قومه، فالنبي هود عليه السلام مرسل إلى قومه لدعوتهم إلى عباد الله عز وجل، و تلك كانت دعوة الرسل لأقوامهم، وقد اعتمد في ذلك على حجج يمكن تمثيلها من خلال ما يلي:

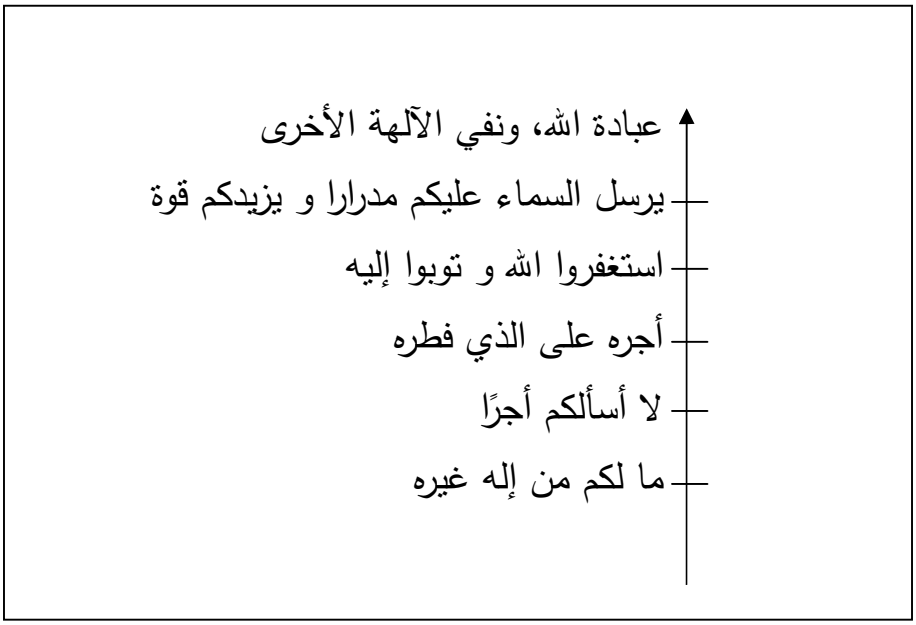

فقد اعتمد النبي هود عليه السلام على حجج تفضي إلى نتيجة واحدة و هي عبادة الله وحده و نفي ما دونه من الآلهة، و بدأ بقوله ما لكم من إله غيره، فقد نفى وجود آلهة دون الله عز وجل، ثم يقول لهم أنه لا يريد أن يعطوه أجرا مقابل دعوتهم، فأجره يأتيه به الله إن شاء، ثم أمرهم بالاستغفار و التوبة إلى ربهم من الأعمال السيئة و الخطايا التي يقترفونها عسى الله أن يغفر لهم، ويرسل السماء عليهم مدرارا و يزدهم قوة إلى قوتهم و يزيدهم من نعمه، وما كان جواب قومه إلا أن أنكروا دعوته و كذبوه معتمدين على ذلك على حجج واهية يمكن تمثيلها كما يلي:

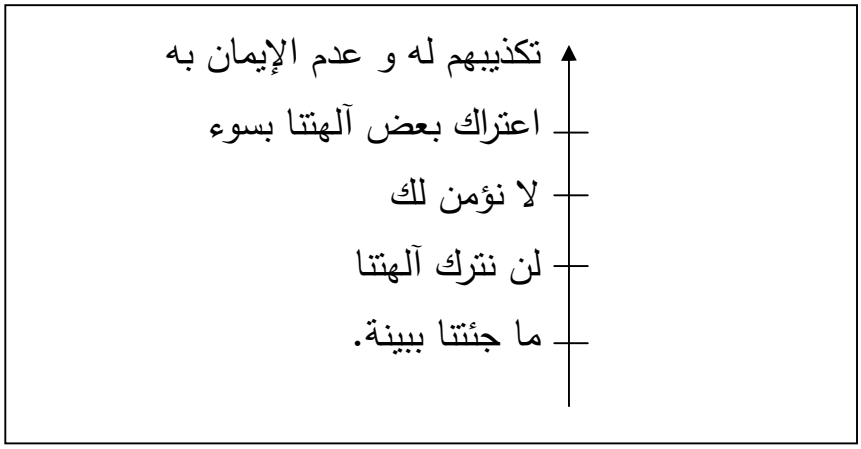

فنلاحظ أن هذه الحجج تسير في خط واحد لتفضي إلى نتيجة ضمنية أنهم لن يؤمنوا به، فأنكروا بينته التي جاءهم بها ثم اعترفوا أنهم لن يتركوا آلهتهم ليؤمنوا به، ثم إقرارهم بعدم الإيمان به و إتباعه، و أن بعض آلهتهم أصابته بسوء لما سبها و قال عليها الأقاويل.

و **النموذج الثالث تجلى في التبادل الذي جمع بين النبي صالح عليه السلام وقومه**، فقد اتفقت دعوة الرسل في هدفها و موضوعها، فكانت الغاية من بعثهم هو الدعوة إلى عبادة الله عز وجل، و نبذ ما سواه من الآلهة الأخرى و الأصنام، و كان النبي صالح عليه السلام من المرسلين الذي خصه الله عز وجل لتحقيق هذا الغرض و تحقيق الغاية، إذ أرسله ربه جلا و علا إلى ثمود ليدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، و يتضح ذلك في قوله تعالى:﴿ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ سورة هود الآية 61.

فتوضح الآية أن النبي صالح عليه السلام استجاب لأمر ربه و أتى قومه يدعوهم إلى عبادة الله وحده، و لما كان النبي صالح أرسل إلى قوم متكبرين جبارين، غلب عليهم الجهل و التعصب و التكبر، فلا يقبلون الحق، ولما كان الموضوع الذي أرسل من أجله و الغاية شديدة، فلا بد أن يستعين بحجج لتحقيق الهدف الذي جاء من أجله، و من بين الحجج التي اعتمدها في دعواه تذكير قومه بقدرة الله عز وجل أن خلقهم من الأرض و أنشأهم فيها و جعلهم من ساكنيها و عمارها، فدعاهم إلى طلب المغفرة من الله عز وجل عن ذنوبهم و سيئاتهم ليزيدهم من فضله و نعمه، قال تعالى:﴿ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ سورة هود الآية 61.

و يمكن التمثيل لهذه الحجج كما يلي:

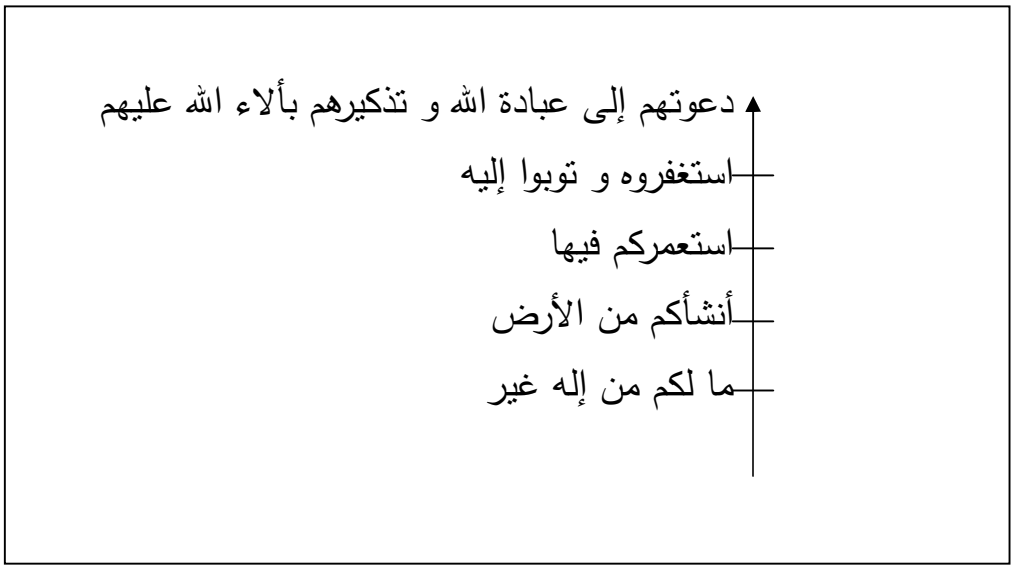

فالنبي صالح عليه السلام فضل تذكير قومه بآلاء الله عليهم و نعمه لدعوتهم لعبادة الله عز وجل، فقال أنه (الله) هو من أوجدهم و خلقهم و جعلهم مستعمرين في الأرض يتبوءون منها حيث يشاءون، ولم يكتف بهذا فقط، فقد آتاهم بحجة ملموسة و المتمثلة في الناقة آية لهم و بينة على صدق دعوته و نبوته، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ هود الآية 64.

و ما كان جواب قومه أن كذبوه و اتخذوه مسخرة و كلامه الذي يتفوه به، فردوا عليه حججه و دعواه، فكان عقابهم أن كانوا من الهالكين، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ هود الآية 65،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ هود الآية 67.

و يمكن التمثيل للتدرج الحجي كما يلي:

من خلال الشكل يتبين لنا كيف كانت عاقبة المكذبين، و ذلك بعدما كذبوا دعوة النبي صالح عليه السلام، و فضلوا أن يتبعوا و يعبدوا ما كان يعبد أبائهم من دون الله من التماثيل و الأصنام التي كانوا ينحتونها بأيديهم، ثم شككوا في دعوته وافتروا عليه أنه من المكذبين، و قالوا أنهم لم يأتهم ببينة وحجة تدل على صدق دعوته و نبوته، فلما آتاهم بالآية المعجزة (الناقة) لم تكن لهم حيلة ونكسوا على رؤوسهم، فاتفقوا على أن يقتلوا الناقة التي كانت معجزة النبي صالح عليه السلام و آية لهم، فعقروها، فتوعدهم الله عز وجل بعذاب قريب، و لما جاء الموعد كانوا من المهلكين.

النموذج الرابع تمثل في التبادل الذي جمع بين النبي لوط عليه السلام وقومه:

لقد علمنا في ما سبق أن موضوع هذا التبادل الذي جمع بين النبي لوط مع قومه يختلف عن موضوع التبادلات الأخرى و التي جاءت لتقرير العبادة لله وحده عز وجل، فإن هذا الأخير جاء في موضوعه زجر قومه عن الفعلة الشنيعة التي كانوا يمارسونها، وهذه الفعلة قد اقتصرت على قرية واحدة يقال اسمها "سدوم"، فبعث الله لهم النبي لوط عليه السلام لينهاهم ويزجرهم عما كانوا يعملون.

لما جاء الضيوف إلى النبي لوط أسرع إليه قومه يهرعون، لعلهم يضفرون بهم، فنصحهم لوط عليه السلام بترك ذلك، و هذا جلي في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ﴾ هود الآية 78.

فنلاحظ أن النبي لوط عليه السلام استعان بحجج لزجر قومه وصدهم لما جاءوا إليه، فيمكن التمثيل لها كما يلي:

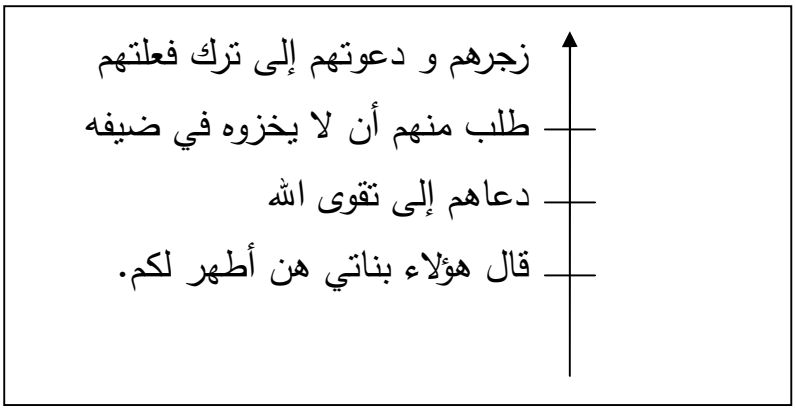

فقد استعان بثلاث حجج تخدم نتيجة واحدة يسعى الوصول إليها و هي زجر قومه عن ارتكاب السيئات، فأول حجة اعتمدها أن أشار إلى بناته فقال هن أطهر لكم و ليس ما تظنون، و قد اختلف المفسرون في لفظة بناتي. فهناك من فسره أنه بنات قومه و نسائهم فنسبهن إلى نفسه من قبيل التشبيه البليغ، و هناك من قيل أنه أراد بذلك بناته من صلبه.[1] ثم دعاهم إلى استحضار تقوى الله في أنفسهم و خشيته و الخوف من عقابه إن هم أصروا على طغيانهم و فعلهم المنكرات، و طلب منهم عدم إلحاق المهانة و المذلة في ضيفه.

و في نفس السياق، فلا حرج أن نذكر الحجج التي استخدمتها زوجة النبي إبراهيم عليه السلام، سارة لمّا بشرتها الملائكة بالغلام، فتعجبت من هذا الأمر فقالت ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ﴾ سورة هود الآية 72.

فقد اعتمدت على حجتين لتبيان عجبها من البشارة بالغلام، و يمكن التمثيل لها كما يلي:

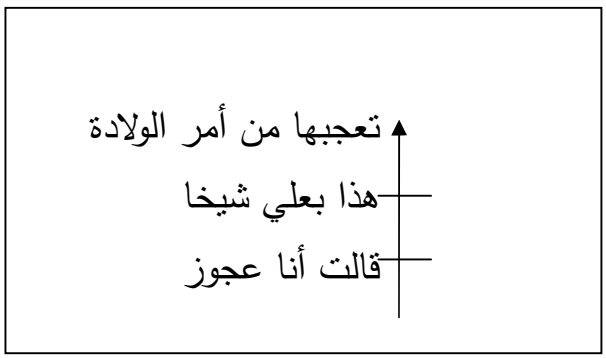

[1])- التحرير و التنوير: ج12،ص 127.

فنلاحظ أن الحجتين حققتا النتيجة المرجوة و هي تعجبها من ولادتها وهي عجوز و بعلها شيخ كبير طاعنين في السن، فكيف لهذا الأمر أن يحدث؟ وهو نوع من أنواع الحجاج و يدعى الحجاج بالمساءلة حيث أجابتهم بحجتين على شكل استفهام إنكاري، فأفاد المعنى التالي، كيف ألد وأنا في هذا العمر و هذا بعلي شيخ كبير؟ فيأتيها الجواب من الملائكة أنه من فضل الله عليهم، ﴿قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ﴾ سورة هود الآية 73.

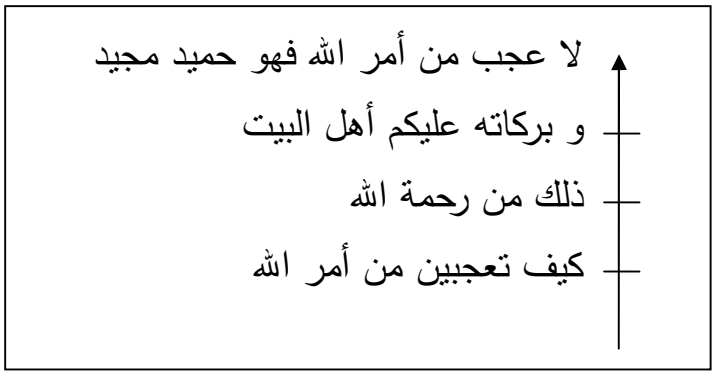

فقد نفوا عنها التعجب وذلك بتذكيرها بقدرة الله عز وجل، و ذلك أمره، فإذا أراد أمرا أن يكون يقول له كن فيكون، و أيضا من رحمة الله عليكم و بركاته، فأنتم خصكم الله بهذه الميزة لأنكم أهل البيت مَنْزَل الوحي و الرحمة و البركة و بيت حدوث المعجزات.

النموذج الخامس تمثل في التبادل الذي جمع بين النبي شعيب عليه السلام مع قومه:

إن المتمعن في هذا التبادل يراه قد جمع بين أمرين قد بعث النبي شعيب بها إلى قومه، فالأول يتمثل في دعوة قومه إلى عبادة الله و هذا أمر مفروغ منه، و الأمر الثاني أن نهاهم عن مجموعة من الصفات الذميمة و الأخلاق الرذيلة و المتمثلة في تطفيف الكيل و الميزان و هو الأساس، لأنه تكرر مرتين و في آيتين مختلفتين فالأولي في قوله تعالى:﴿۞ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۖ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ﴾ هود الآية 84، فهذه الآية مجملة ثم يعود و يستعمل أسلوب النداء فينادي قومه لاستحضار أذهانهم و لفت

انتباههم و يعيد عليهم النصيحة و الأمر بقوله:﴿وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ هود الآية 85.

وذلك للوصول إلى نتيجة أنهم لا يحتاجون إلى التطفيف في الكيل و الميزان، وخوفه عليهم من العذاب.

ويمكن التمثيل لهذه الحجج كما يلي:

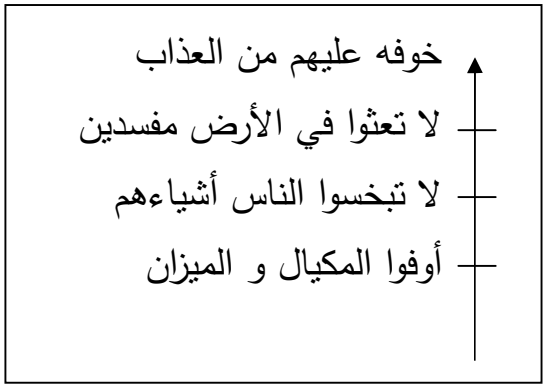

خاتمة

و من خلال ما تقدم عرضه و دراسته، فقد توصلنا إلى النتائج التالية:

- المحادثة عبارة عن فعل تواصلي و نشاط لغوي تفاعلي، يجمع بين مشاركين اثنين أو أكثر، و غالبا ما يتجلى في صورة شفهية مباشرة.
- أن التبادل الكلامي في المحادثة إلزامي، فعلى المشاركين أن يقوموا بتبادل كلامي واحد أو مساهمة خاصة على الأقل لكي تسمى المحادثة محادثة.
- القرآن الكريم من بين الخطابات التي تشتمل على المحادثات، و هذا ما رأيناه من خلال دراستنا للمدونة المتمثلة في سورة "**هود**" و هي من السور المكية، و المعروف أن القرآن المكي من خصائصه إثبات القواعد الكبرى للشريعة الإسلامية و تقريرها كالتوحيد، و البعث و الجزاء، و صدق الرسالة ، فقد استعان على المحادثات التي جرت بين الأنبياء و أقوامهم بهدف تبليغهم رسالات ربهم و دعوتهم إلى توحيد الله عز وجل، و لهذا جاءت بنية المحادثات في هذه السورة خاصة و محادثات القرآن بصفة عامة مختلفة عن المحادثات اليومية إذ أن هذه الأخيرة استغنت عن المقدمات الافتتاحية و الإختتامية، و اقتصر على الأمر الأهم المتمثل في تبليغ الدعوة، أما الموضوع فيمكن أن نقول أنه متفق في جميع المحادثات، فقد تمثل في الدعوة إلى تقرير الوحدانية لله عز وجل وحده و نبذ ما سواه.
- لقد استعان القرآن الكريم بالأسلوب القصصي لتقريب المعنى و بلوغ الغاية المنشودة، فتمثلت هذه الغاية في المقام الأول هو مواساة الله عز وجل لنبيه، ثم إخباره و إعلامه بما لقيه الرسل و الأنبياء مع أقوامهم من قبله، فلا ييأس من تبليغ الرسالة و لا يحزن من ردة فعل قومه إن أعرضوا عنه و لم يؤمنوا به.
- أن المحادثات في سورة "هود" خاصة و في القرآن الكريم عامة قد حدثت و جرت أحداثها في زمن غابر، و نقلت إلينا من خلال هذه السور، فهذه المحادثات ككل موجهة إلى متلق، و هذا المتلقي المتمثل في الرسول صلى الله عليه و سلم ومن

توجه إليهم بدعوته من قومه و صحابته و الناس أجمعين، فالرسول بعث إلى الناس كافة.

أما في الشطر الثاني الذي جاء بعنوان الحجاج في سورة "هود"، فقد توصلنا إلى أن:

- الخطاب القرآني خطاب حجاجي بالدرجة الأولى، فهو يرمي إلى التأثير و الإقناع و يرد و يدحض الخطابات التي تحمل في طياتها عقائد فاسدة، و هذا ما يتجلى من خلال المحادثات التي جمعت بين الأنبياء و أقوامهم، إذ كيف بالنبي يقيم الحجة على قومه خلال دعوته إلى عبادة الله عز وجل وحده، و كيف لتلك الأقوام محاولة نفي و إبطال ما جاءهم به أنبياؤهم
- لقد اختلفت الأساليب و الوسائل الحجاجية التي اعتمدها الأنبياء في إقامة الحجة على أقوامهم، فتمثلت هذه الوسائل في الروابط و العوامل الحجاجية التي لها الأثر الكبير في الربط بين حجة و أخرى أو بين حجة و نتيجة مما أدى إلى تسلسل الحجج و ترابطها و تساوقها.
- بالإضافة إلى السلالم الحجاجية التي هي الأخرى كان لها دور كبير في عملية الإقناع و توصيل الرسالة الربانية، فهي وسيلة حجاجية اعتمدها الأنبياء لسرد حججهم التي أتَوْ بها أقوامهم و ترتيبها و تدرجها، مما ضمن السير الحسن للعملية التواصلية وانسجامها و تناسقها.
- كما أنه لا يمكن إهمال الآليات البلاغية المتمثلة في الصور البيانية من تشبيه و كناية واستعارة في عملية الإقناع، حيث يتجلى دورها في الأثر الذي تتركه هذه الأخيرة في قلب و فكر المتلقي، فهي تخاطب الأحاسيس و العواطف، فهي وسيلة مهمة يعتمد عليها المرسل للتأثير في المتلقي وجذب انتباهه و جعله يذعن لأمر ما أو قضية معينة بسهولة.

قائمة المصادر

و المراجع

قائمة المصادر و المراجع

القرآن الكريم برواية ورش

أ)- المصادر:

1- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، دط، دت.

2- برهان الدين بن عمر البقاعي: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، مكتبة المعارف، الرياض،ط1، 1987.

3- عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، دار المنتدى، جدة، دط، دت.

ب)- المراجع:

1- أبو بكر العزاوي: اللغة و الحجاج، الدار البيضاء،ط1، 2006.

2- أبي حيان الأندلسي: تفسير البحر المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1993.

3- أبي بكر الجزائري: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، راسم للدعاية و الإعلان، ط3، 1993.

4- أبي محمد بن مسعود البغوي: معالم التنزيل، دار طيبة للنشر و التوزيع، الرياض، 1411هـ.

5- أبو الوليد الباجي: المنهاج في ترتيب الحجاج، تحقيق عبد المجيد تركي، دار العرب الإسلامي، بيروت، ط3، 2001.

6- أحمد الهاشمي : جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع، دار الكتب العلمية، بيروت، ط5.

7- أبي المظفر السمعاني: تفسير القرآن، دار الوطن للنشر، الرياض، ط1، 1997.

8- أبي السعود العمادي: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دط، دت.

9- ابن كثير: تفسير القرآن الكريم، دار الكتاب الحديث، ط1.

10- باتريك شارودو و دومينيك منقنو: معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري و حمادي صمود، دار سبناترا، تونس، 2008.

11- توان فان دايك: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، تر: سعيد بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة،ط1، 2001.

12- حافظ إسماعيل علوي: الحجاج مفهومه و مجالاته، عالم الكتب الجديد، اربد، الأردن، ط1، 2010.

13- حمادي صمود: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، جامعة منوبة، تونس،1998.

14- سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلة إلى القرن الثاني الهجري، بنيته و أساليبه،عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، 2011.

15- طه عبد الرحمن: اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998.

16- الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير و التنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، دط، 1984.

17- علاء الدين البغدادي: تفسير الخازن(لباب التأويل في معاني التنزيل)، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004.

18- عبد الرحمن الثعالبي: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1997.

19- عبد الله صولة: في نظرية الحجاج دراسات و تطبيقات، مسكيلياني للنشر و التوزيع، تونس، ط1، 2004.

20- عبد الله محمود شحاتة: أهداف كل سورة و مقاصدها في القرآن الكريم، مطابع الهيئة المصرية للكتاب،دط، 2001.

21- عبد الله صولة: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، جامعة منوبة،تونس، 2001.

22- فولفجانج هاينه من و ديتر فيهفيجر: مدخل إلى علم اللغة النصي، تر: فالح بن شبيب العجمي، النشر العلمي و المطابع، جامعة الملك سعود، الرياض.

23- فرانسوا أرمينيكو: المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، دط.

24- محمد أحمد قاسم، محي الدين ذيب: علوم البلاغة (البديع و البيان و المعاني)، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، ط1، 2003.

25- محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، ط4، 1981.

26- محمد طروس: النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية و المنطقية و اللسانية، دار الناشر للثقافة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2005.

27- محمد العمري: في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري و تطبيقي، إفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2002.

28- مثنى كاظم الصادق: أسلوبية الحجاج التداولي و البلاغي تنظير و تطبيق على السور المكية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2015.

29- محمد بن صالح العثيمين: شرح البلاغة من كتاب قواعد اللغة العربية، الرياض، ط1.

30- مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة للطبع و النشر، بيروت، ط1، 2005.

31- الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، لبنان، ط1، 2004.

32- ناصر الدين البيضاوي: أنوار التنزيل و أسرار التأويل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1.

ج)- المجلات:

1- عليك كايسة: بنية المحادثة و مكوناتها الأساسية، مجلة الممارسات اللغوية، جامعة مولود معمري تيزي وزو، الجزائر، مارس، 2016، ع35.

2- محمد الولي: مدخل إلى الحجاج" أفلاطون و أرسطو و شاييم بيرلمان"، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت،م40، أكتوبر.ديسمبر، 2011.

3- هاجر مدقن: آليات تشكل الخطاب الحجاجي بين نظرية البيان و البرهان، مجلة الأثر، الجزائر، 2005، ع5.

د)- الرسائل الجامعية:

1- حمقة حكيمة: بنية المحادثة مقاربة نصية تداولية حصة " في دائرة الضوء" أنموذجا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2010-2011.

هـ)- المراجع الأجنبية:

1- le grand robert : dictionnaire de la langue française , 1ere édition, paris, 1990 .

فهرس الموضوعات

- المقدمة.....أ – ج
- الفصل الأول:.....ص6-55

أولا-وصف المدونة.....ص 6

ثانيا- مفهوم المحادثة.....

1- لغة.....ص11

2- اصطلاحا.....ص11

ثالثا- عوامل المحادثة.....

1- التفاعل.....ص13

2- التبادل.....ص14

3- المقطع.....ص15

4- التدخل.....ص15

5- الفعل الكلامي.....ص15

رابعا- بنية المحادثة.....

1- البنية العامة للمحادثة.....ص17

2- البنية الصغرى للمحادثة.....ص19

خامسا- بنية المحادثة في سورة هود.....ص20-55

1- المحادثة الأولى: محادثة نوح مع قومه.....ص20-29

2- المحادثة الثانية: محادثة هود مع قومه.....ص30-36

3- المحادثة الثالثة: محادثة صالح مع قومه.....ص37-43

4- المحادثة الرابعة: محادثة لوط مع قومه.....ص43-49

5- المحادثة الخامسة: محادثة شعيب مع قومه.....ص50-55

الفصل الثاني: الحجاج في القرآن الكريم.....

أولا- مفهوم الحجاج.....

1- لغة.....ص56

2- اصطلاحا.....ص57

ثانيا- الحجاج قديما و حديثا.....

1-عند الغرب قديما.....ص60

2-عند الغرب حديثا.....ص62

3-عند العرب قديما.....ص64

4-عند العرب حديثا.....ص66

ثالثا- أنواع الحجاج:.....

1- الحجاج التوجيهي.....ص68

2- الحجاج التقويمي.....ص69

3- الحجاج البلاغي.....ص69

4- الحجاج بالسلطة.....ص70

5- الحجاج بالقيم.....ص70

6- الحجاج بالمغالطة.....ص71

رابعا- آليات الحجاج: .....

1-الآليات اللغوية.....ص72-73

2-الآليات البلاغية.....ص74-75

3-الآليات شبه منطقية.....ص75-79

خامسا- بنية الحجاج في سورة هود.....

1-أنواع الحجاج في سورة هود.....

أ- الحجاج التقويمي.....ص80

ب- الحجاج بالقيم.....ص82

ج- الحجاج البلاغي.....ص83

2- الروابط و العوامل الحجاجية.....

أ- الروابط الحجاجية.....

*الرابط الواو:.....ص87

*الرابط بل:.....ص88

*الرابط ثم:.....ص88

ب- العوامل الحجاجية.....

*العامل ما....إلا/لا....إلا:.....ص90

*العامل إنما:.....ص91

3- السلالم الحجاجية في سورة هود.....ص91

خاتمة:.....ص102-103

قائمة المصادر و المراجع.....ص105-109

فهرس الموضوعات:.....ص 111